بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

٢٦

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٢٦ ـ رجب ١٤٣٠هجرية قمرية

تير ١٣٨٨هجرية شمسية / يوليو (تموز) ٢٠٠٩

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ +٩٨٢١ هاتف: +٩٨٢١ ٨٨٣٢١٤١١

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٢٦

رسائل القرآن.................................... ٤

ثورة أخرى على الطائفية.......................... ١٥

ثورة أخرى على التفرقة القومية.................... ١٩

انطلاقة أخرى نحو العزّة........................... ٢٤

الطائفية تنفعل.................................. ٣٠

سلاح العنصريّة بوجه حزب الله أيضا............... ٣٤

المؤتمرات بين الشعار والمشروع................... ٣٩

محمد باقر الصدر بمناسبة ذكرى استشهاده............ ٤٦

إحياء ذكرى الشهيد الصدر إحياء لوحدة الأمة......... ٥١

أصول المدرسة الأخلاقية الصدرية.................. ٥٣

الشهيد الصدر مشكلات الاجتهاد وآفاق المستقبل..... ٦٦

المطالبة بالحرية وحقوق الإنسان في خطاب الشهيد الصدر..... ٧٦

مميزات الدولة في فكر الشهيد الصدر............... ٨٧

الذنوب تورث القلق............................... ١٠٠

دعوة إلى الأمة.................................. ١١٩

رسائل القرآن

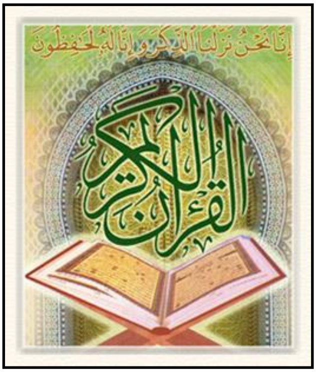

بسم الله الرحمن الرحيم

محسن قراءتي*

١٢٠ - ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾

الرسائل:

● في أسباب النزول أنها نزلت بعد أن شقّ على اليهود والنصارى أمر تغيير القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام. وفي الآية رسالة بأن الأمر ليس كما يدّعي هؤلاء، فتغيير القبلة ذريعة لهم في الإعراض، وإنّما دافعهم هو أن تترك دينك وتتبّع دينهم. وهذا يدلّ على أن العدوّ لا يكتفي بالتنازل البسيط، بل يستهدف

---

* - داعية إسلامي معروف.

إزالة الهويّة بكاملها: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.

● وإن رأى المؤمنون أن الكفار راضون عنهم فلابدّ أن يراجعوا أنفسهم ويشكّوا في صحة مسيرتهم.

● الاتجاه إلى الله سبحانه بهدايته هو المسير الصحيح للبشرية، وغير ذلك تيه وضلال: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾.

● العلم يحمّل الإنسان مسؤولية الاتجاه نحو الله سبحانه والابتعاد عن الأهواء: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾.

● الدخول في حوار مع أهل الكتاب أمر مقبول ومفروض، ولكن اتباع أهواءهم يعني الاستظهار بقوّتهم والانقطاع عن قوة الله وحفظه ونصرته: ﴿مالك من الله من وليّ ولا نصير﴾.

١٢١ - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

الرسائل:

● قيل نزلت في جماعة من أهل الكتاب، وهؤلاء تذكرهم الآية لتستثنيهم مما سبق ذكره عن لجاج أهل الكتاب، فهؤلاء يقرأونه بما تستوجب القراءة، وبذلك يؤدي إلى إيمانهم: ﴿يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون﴾ وقيل إنّ المراد بالكتاب في الآية القرآن

الكريم، وتلاوته حق تلاوته تؤدي إلى الإيمان بالرسول(ص).

● حقّ التلاوة قيل فيه إنه: ١ - ترتيل الآيات ٢ - التفقّه فيها ٣ -العمل بها ٤ - عقد الأمل على بشائره ٥ - الخوف من وعيده ٦ - الاعتبار بقصصه ٧ - إطاعة أوامره ٨ - ترك نواهيه.

● حق التلاوة لا تعني الاقتصار على تجويد الصوت ورعاية قواعد القراءة ومخارج الحروف، بل لابدّ من التفاعل فكريًا وعاطفيًا وشعوريًا مع القرآن.

● في اختيار طريق الكفر والانحراف خسران ما بعده خسران: ﴿ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾.

١٢٢ -﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

١٢٣ - ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

الرسائل:

● هاتان الآيتان تشبهان ماجاء في الآيتين ٤٧ و٤٨ من نفس هذه السورة.

١٢٤ -﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

الرسائل:

● إبراهيم – عليه السلام – له بين الأنبياء مكانة خاصة. فقد ورد اسمه في ٦٩ موضعًا من القرآن وفي ٢٥ سورة. وتذكره الآيات على أنه مثل الرسول الخاتم (ص) أسوة البشرية وإمامها. والإسلام هو ملة إبراهيم ومناسك الحج ترتبط بهذا النبي الكريم. ويفصّل القرآن ما اجتازه إبراهيم من اختبار، وصموده أمام تحديات المشركين ونمرود وفي غيرها من المواقف.

● اختبار الإنسان تكرر ذكره في القرآن وهو من السنن الإلهية، وليس المراد به أن يطلع الله على خبايا الإنسان، فهو سبحانه العالم بكل شيء، بل المراد به ظهور كفاءات الإنسان والحثّ على العمل والمقاومة. والاختبار يكون في حلو الحياة ومرّها، وفي الصعاب والشدائد والتحديات. وكل إنسان معرّض للاختبار حتى الأنبياء عليهم السلام: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه﴾.

● ارتقى إبراهيم بعد كل ابتلاء درجة في السموّ والمسؤولية. في المرحلة الأولى أصبح عبدَ الله، ثم نبيّ الله، ثم خليل الله، وفي نهاية المطاف جعله الله إمامًا: ﴿فأتمهّن قال: إني جاعلك للناسِ إمامًا﴾.

● و«الكلمات» هي الاختبارات التي اجتازها إبراهيم عليه السلام. ويجمع بينها أن هذا النبي الكريم واصل مسيرته إلى الله دون أن يصدّه مجتمعه الوثني، ودون أن يحول دون حركته ارتباطُه العاطفي بالزوج والولد، فقد أسكنهما ﴿في واد غير زرع﴾

وصدع بأمر ذبح ابنه إسماعيل، وكان الأمر اختبارًا لهذا النبيّ الكريم، ولم يكن القصد منه ذبحه.

- طلب إبراهيم أن تجري الإمامة في عقبه، فجرت في الصالحين منهم، ونبينا(ص) من نسل إبراهيم(ع)، لكنها لا تجري في الظالمين.

- إبراهيم هو النبي الوحيد الذي كان مشركو مكة وكذلك اليهود والنصارى يرون أنفسهم بأنهم أتباعه . والتأكيد على مكانة إبراهيم (ع) في القرآن باعتباره رافع لواء التوحيد والتسليم للّه سبحانه فيه رسالة إلى هؤلاء الذين يدّعون اتباعه بأن أعرِضوا عن الشرك واتبعوا سبيل الهدى والتوحيد.

- منطلق الإمامة هو اللياقة والكفاءة واجتياز الاختبارات الإلهية وليس الوراثة.

- المسؤوليات توكل إلى الأفراد بعد أن يجتازوا مراحل إثبات كفاءاتهم: ﴿فأتمهُنَّ﴾ ، لكنها لا تجري في الظالمين.

- إبراهيم النبي الوحيد الذي كان مشركو مكة وكذلك اليهود والنصارى يرون أنفسهم بأنهم أتباعه. والتأكيد على مكانة إبراهيم (ع) في القرآن باعتباره رافع لواء التوحيد والتسليم للّه سبحانه فيه رسالة إلى هؤلاء الذين يدّعون إتباعه بأن أعرضوا عن الشرك واتبعوا سبيل الهدى والتوحيد.

- منطلق الإمامة هو اللياقة والكفاءة واجتياز الاختبارات الإلهية وليس الوراثة.

● المسؤوليات توكل إلى الأفراد بعد أن يجتازوا مراحل إثبات كفاءاتهم: ﴿فأتمهُنَّ﴾.

١٢٥ -﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

الرسائل:

● الكعبة المشرّفة ﴿مثابة للناس وأمنًا﴾ أي المكان الذي يرجع اليه الناس مرّة بعد مرّة، فهو معاذهم وملجأهم ومكان أمنهم.

● مقام إبراهيم هو المقام المعروف في المسجد الحرام، وهو موضعُ قَدمِ هذا النبي العظيم. واستحقّ أن يكون مصلى، تكريمًا لرائد التوحيد وإمام المخلصين.

● تطهيرُ بيتِ الله مسؤولية يتحملها أولياء الله: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي﴾.

● نسبة البيت إلى الله: ﴿بيتي﴾ ﴿ربّ هذا البيت﴾ دلالة على عظمة المكان وقدسيته وأهميته.

● يكفي الطائفين والعاكفين والركع السجود في هذا البيت فخرًا وكرامةً أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أمرا بتطهير البيت لهم.

● اقترنت العبادة بالطهارة: ﴿طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود﴾.

● تطهير البيت على يد إبراهيم وإسماعيل للمصلين يدلّ أيضًا على عظمة الصلاة وأهميتها.

● في الآية رسالة أيضًا بتطهير أماكن العبادة ونظافتها.

● الإمامة، وتوفّر الأمن، ركنان مهمّان لحياة المجتمع الإسلامي أكدت عليهما الآية السابقة وهذه الآية.

١٢٦ -﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

الرسائل:

● الدعوة إلى التوحيد مشروع كامل للحياة، لذلك لا تهمل الجوانب المادية من احتياجات البشر: ﴿اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات﴾.

● الأمن ووفور الرزق ضروريان في مجتمع التوحيد.

● الدعاء للناس من سنّة الأنبياء والأولياء: ﴿وارزق أهله﴾.

● سنّة الله سبحانه جرت أن يرزق المؤمن والكافر، لذلك جاء جواب دعاء إبراهيم: ﴿قال: ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ وفي هذا

السياق يأتي قوله سبحانه: ﴿كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك﴾.

● التمتع في الدنيا للكافر هو - مهما بلغ - قليل بالنسبة إلى نعم الآخرة: ﴿فأمتعه قليلاً﴾.

١٢٧ -﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

الرسائل:

● عبارة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ تدلّ أن إبراهيم وإسماعيل جدّدا بناء البيت، وفي الروايات أنها كانت قائمة من زمن آدم(ع).

وفي دعاء إبراهيم مايدلّ على أن البيت كان موجودًا منذ أن كان إسماعيل رضيعًا: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (إبراهيم/٣٧).

● لعل دور إبراهيم لم يكن مساويًا لإسماعيل، وفي الروايات أن البنّاء كان إبراهيم وإسماعيل كان يناوله الحجر، ولعل هذا التفاوت هو سبب الفصل بين الاسمين في الآية.

● في الآية رسالة بضرورة تذكر البُناة فهي تدعو إلى التذكير: ﴿وإذ يرفع﴾.

● العمل يكون عبادةً حين تتجه النية فيه إلى الله سبحانه،

ولذلك طلبا قبول عملهما: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد.... ربنا تقبل منّا﴾

● أهمية العمل في أن يكون مقبولاً عند الله. حتى ولو كان بناء الكعبة: ﴿ربنا تقبل منّا﴾.

● حين دعا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بقولهما: ﴿ربنا تقبّل منا﴾ لم يذكرا ما فعلاه، في رسالة بأن العمل مهما بلغت أهميته ليس بشيء أمام عظمة الله سبحانه.

● في الروايات أن الدعاء ينبغي أن يكون مقرونًا بالثناء على الله سبحانه وذكر محامده: ﴿إنك أنت السميع العليم﴾.

١٢٨ -﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

الرسائل:

● مهما بلغ الإنسان من درجة في سلّم كماله فإنه بحاجة إلى أن يلجأ إلى الله في مواصلة الطريق: ﴿ربنا واجعلنا مسلمَين لك﴾

● الإخلاص للرسالة يجعل الإنسان يمدّ نظره إلى الاهتمام بالأجيال القادمة، وهذا الاهتمام تكرر في دعاء إبراهيم(ع): ﴿ومن ذريتنا﴾.

● إبراهيم (ع) يطلب من الله سبحانه أن يعرّفه طريق عبادته، وهكذا يفعل كلّ موحّد، كي لا يصاب في عبادته بالانحراف والبدعة والخرافة.

● اللجوء إلى الله سبحانه في تعرّف طريق العبادة يتفرّع عن الإخلاص في التوحيد والتسليم لربّ العالمين: ﴿واجعلنا مسلمَين لك.. وأرنا مناسكنا﴾.

● طلب التوبة له قيمته ودلالته في أي حال وفي أي مقام: ﴿وتب علينا﴾.

● من آداب الدعاء الثناء على الله سبحانه وذكر محامده: ﴿إنك أنت التواب الرحيم﴾.

١٢٩ -﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

الرسائل:

● هذه الآية تدل أيضا على اهتمام إبراهيم عليه السلام بالأجيال القادمة، وباستمرار ذريته على طريق الرسالة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾.

● دعاء إبراهيم عليه السلام يوضّح أهمية دور رسالات السماء في هداية البشرية بالتذكير والتعليم والتزكية: ﴿يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم﴾.

● في دعاء إبراهيم التعليم مقدّم على التزكية، ولكن التقرير القرآني في سورة الجمعة يقدّم التزكية على التعليم:

﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾، وعلى أي حال اقتران العلم بالحكمة وبالتزكية يدلّ على أن العلم لا يؤتي ثماره الطيبة إلاّ بهذا الاقتران.

١٣٠ -﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

الرسائل:

● ﴿مَنْ يرغب﴾ لفظه من الاستفهام ومعناه الجحد، أي ما يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ الذي سفه نفسه. وهي رسالة إلى من يعرض عن رسالة محمد(ص)، فإنه قد سَفِه نفسه، لأن ملة محمد هي: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾.

● إبراهيم كان موحّدًا في سلوكه الفردي والاجتماعي وفي تسليمه المطلق لله سبحانه وتعالى. وملته هي الفطرة التي فطر الناس عليها، والإعراض عنها بطبيعة الحال إعراض عن الفطرة وجهل للنفس ولقدر الإنسان.

● السفيه من جهل طريق الله، ومن جهل خالقه فقد جهل نفسه.

● التديّن من مظاهر التعقّل والإعراض عن الدين إعراض عن العقل وسفاهة.

ثورة أخرى على الطائفية

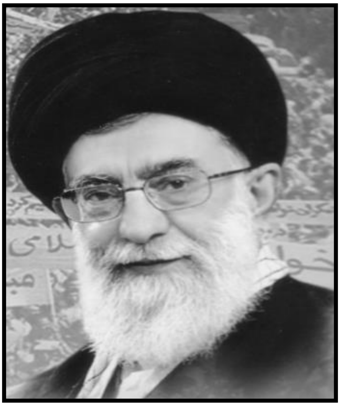

عطاء زيارة السيد القائد لمحافظة كردستان

بين آونة وأخرى يطلق السيد القائد حفظه اللّه موجة شعبية وشعورية لمواجهة الطائفية التي يعزف على أوتارها باستمرار أعداء الأمة الاسلاميّة. وفي زيارة فريدة لمحافظة كردستان استغرقت أسبوعًا واحدًا أطلق سماحته موجة عارمة ضد التفرقة بين الشيعة والسنّة، ليواجه الطائفية التي يحاول من يتسمون بالاصوليين والوهابيين تصديرها إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وفي أحاديثه وقراراته التي اتخذها في المحافظة وضع أسس ضمانة منع نفوذ رائحة الطائفية الكريهة إلى دولة الإسلام.

جدير بالذكر أن منطقة كردستان كانت في عصر الشاه مهملة عمرانيًا، ومُستهانة قوميًا وطائفيًا، فأعادت دولة الإسلام إليها مكانتها، ورصدت لها الأموال الضخمة لإخراجها من تخلّفها، فمدت شبكات الطرق والكهرباء والماء وأنشأت المعامل

والمصانع، وأصلحت الأراضي الزراعية، ونشرت الجامعات والمدارس والحوزات والمساجد، ووفّرت لعلماء السنّة ما لم توفّره لعلماء الشيعة من إمكانات حياة كريمة. يُذكر أن علماء الشيعة في إيران لا يعتمدون على أموال الدولة، بل على أموال الخمس والزكاة الشعبية.

قبل أن نذكر مقتطفات من أقوال السيد القائد في هذه الزيارة مخاطبًا أبناء كردستان نشير إلى أن سماحته اتخذ قرارات هامّة بشأن تلبية مطاليب أهالي المحافظة، من ذلك بثّ الأذان من إذاعة محافظة كردستان وفق فقه أهل السنة ثلاث مرات يوميًا.

ومما قاله في حشود أهالي المحافظة:

[الطائفيون مرتزقون]

انظروا ولاحظوا من هم الذين يريدون إفساد وحدة الشعب الإيراني؟ اعلموا أنهم عملاء الأعداء. إما إنهم من الأعداء ويتحدثون حديثهم، أو إنهم من أصابع العدو. لا شك في ذلك. الذي يرفع نداء التفرقة بين الشيعة والسنة ويريد إرباك الوحدة الوطنية بذريعة الطائفية، إنما هو مرتزق للعدو سواء كان شيعيًا أو سنيًا، وسواء علم بذلك أم لم يعلم. بعضهم مرتزقة للعدو وهم لا يعلمون.

[عملاء دولارات النفط]

الكثير من هؤلاء الناس المساكين الجهلة الذين يطلقون على

أنفسهم اسم السلفيين والوهابيين الذين تغذيهم دولارت النفط كي يذهبوا ويمارسوا العمليات الإرهابية هنا وهناك - في العراق بشكل، وفي أفغانستان بشكل، وفي باكستان بشكل، وفي الأنحاء الأخرى بأشكال أخرى - لا يعلمون أنهم مرتزقة. والشخص الشيعي الذي يهين مقدسات أهل السنة ويسبّها هو أيضًا من مرتزقة الأعداء وإن لم يشعر. هؤلاء هم العملاء الأصليون للأعداء. البعض من هؤلاء الأصابع - سواء بين أهل السنة أو بين الشيعة - غافلون ولا يعلمون ولا يفهمون ما الذي يفعلونه، لا يدرون أنهم يعملون للأعداء.

[لا من الشيعة ولا من السنة]

قبل سنوات تحدث عالم متنوّر من المنطقة الكردية في صلاة الجمعة وقال: والله إن الذين يأتون للشيعة ويزرعون في قلوبهم الضغينة والبغضاء على أهل السنة، ويقصدون السنة ويزرعون الأحقاد والإحن في أفئدتهم ضد الشيعة، هؤلاء لا هم شيعة ولا هم سنة، لا يحبون الشيعة ولا السنة. إنما يعادون الإسلام. طبعًا لا يعلمون.. الكثيرون منهم لا يفهمون وهذا يدعو للأسف أنهم لا يفهمون.

[التكفيريون]

الجماعة التي تطلق على نفسها اسم الوهابية والسلفية اليوم تعتبر الشيعة كفرة، وتعتبر السني المحب لأهل البيت كافرًا أيضًا، وتعتبر السني من أتباع الطرق العرفانية والقادرية كافرًا أيضًا! من أين ينبع هذا الفكر الخاطئ؟ كل الناس الشيعة في

كـل العـالم، والنـاس السـنة الشـافعية في شمـال أفريقيـا، أو المالكية في بلدان أفريقيا المركزية - وهم محبون لأهل البيت، فالطرق العرفانية تنتهي لأهل البيت – هؤلاء بأجمعهم كفّار!! لماذا؟ لأنهم يحترمون مرقد الحسين بن علي في القاهرة ويقدسون مسجد رأس الحسين، لذلك فهم كفّار! الشيعة كفّار، والسنة في سقّز وسنندج ومريوان إذا كانوا على اتصال بالطريقة القادرية أو النقشبندية كفّار أيضًا! أي فكر هذا؟ لماذ يبثون الخلاف بين الإخوة المسلمين بهذا الفكر الخاطئ المشؤوم.

[إهانة مقدسات السنة حرام شرعًا]

وأقول للشيعي الذي يهين مقدسات السنة عن جهل وغفلة أو عن غرض في نفسه أحيانًا - ونحن نعرف مثل هؤلاء، فهناك بين الشيعة من لا يدفعهم الجهل وحسب إنما هم مكلفون ببث الخلافات - أقول له: إن سلوك كلا الفريقين حرام شرعًا وبخلاف القانون.

[إهانة المقدسات خط أحمر]

وفي حديثه إلى حشود مدينة «سقز» في المحافظة قال:

إهانة مقدسات الشيعة أو السنة هو الخط الأحمر للنظام الإسلامي وما من حق أحد سواء كان شيعيًا أو سنيًا أن يتجاهل هذا الخط الأحمر عن غفلة أو عن عصبية، وأن يتحول عن قصد أو عن غير قصد إلي أداة بيد الأعداء.

ثورة أخرى
على التفرقة القومية

عطاء زيارة السيد القائد لمحافظة كردستان

من أخطر مؤامرات التمزيق التي مارسها أعداء الأمة في العالم الإسلامي التفرقة القوميّة. لقد كان المسلمون ينتمون جميعًا إلى هوية واحدة هي الهوية الإسلامية، بل كان غير المسلمين القاطنين في دائرة الحضارة الإسلامية يرون أنفسهم أبناء هذه الدائرة، ومنتمين إليها.

لقد كان للإرساليات التبشيرية الغربية والجامعات المنتمية إليها دور كبير في تربية رؤوس تتبنّى المشروع القومي، فجعلت من الأمة الواحدة قوميّات متصارعة، وبذلك فإن القوميات، التي كانت في عصر الازدهار الحضاري مصدر تنوّع وإثراء، أصبحت بؤر أزمات يستثمرها أعداء الأمة متى ما شاؤوا لفرض هيمنتهم.

من أهمّ الانتصارات التي حققها المشروع الإسلامي في إيران ضمن إطار الجمهورية الإسلامية استيعابه للقوميات المختلفة الإيرانية من فرس وترك وكرد وعرب وبلوش وتركمان في دائرة الانتماء إلى الوطن الإسلامي وحشد كل الطاقات في معركة الهدم والبناء والدفاع.

لقد ظهرت بعض المحاولات لإثارة النزعات القوميّة في محافظة كردستان في بداية الثورة الإسلامية، لكن المواطنين الأكراد أحبطوها بوعيهم وبإخلاصهم للمشروع الإسلامي.

في هذا الشأن قال السيد القائد مخاطبًا حشود أهالي كردستان:

[كردستان تحمل وسام فخر]

كردستان أرض التضحيات الكبرى، أرض الفن والثقافة؛ أرض الإخلاص والوفاء؛ أرض الناس الأوفياء الذين أحبطوا برجولتهم وشجاعتهم مؤامرات كبرى في أكثر سنوات هذا النظام والبلد حساسيةً. إنها أرض الناس الشجعان ذوي الوعي والنضج العقلي الذين شخّصوا مؤامرة العدو في اللحظات الحساسة وأخمدوا بتضحيتهم فتنة كبرى قبل أن تستطيع بلوغ أهدافها المشؤومة. هذا شيء لن ينساه الشعب الإيراني. تحمل كردستان في تاريخ الثورة الإسلامية وسام فخر قلّما يمكن مشاهدة نظير له في المحافظات الأخرى.

[كردستان نجحت في الامتحان]

أعزائي، إخوتي وأخواتي، في فجر انتصار الثورة الإسلامية أراد البعض إشعال حرب داخلية وإفشاء الاقتتال بين الإخوة في

البلاد. الظالمون العالميون خافوا واضطربوا من ظهور قوة مستقلة تعتمد على الدين والإيمان الديني في هذه المنطقة، لذلك عبّأوا طاقاتهم وقدراتهم " الصلدة " و" الرقيقة " عسى أن يستطيعوا القضاء على هذا الوليد الظاهر إلى الوجود توًّا وهو في الخطوات الأولى من حياته. وقد خرج الأهالي الكرد في هذه المحافظة من الامتحان ومن هذه المواجهة الكبرى مرفوعي الرأس. لقد شهدت كردستان عن كثب وشاهدتُ بعيني عظمة صمود هؤلاء الأهالي في أيام المحنة والشدة. الكثير مما أقوله عن كردستان مصدره معلوماتي ومعرفتي الشخصية التي أحرزتها بمشاهداتي القريبة. طبعًا ذاعت سمعة مقاومة الأهالي في محافظتكم - في العهود المختلفة: سواء في مطلع الثورة أو في فترة الحرب المفروضة - بين كل أبناء الشعب الإيراني.

[إثارة النزاعات القومية]

أعزائي ، ثمة سياسة خبيثة حاولت منذ بداية الثورة أن تفصل القوميات الإيرانية عن بعضها وتمزّق الجسد العظيم للشعب الإيراني بشتى الذرائع. كانوا يلقّنون كل قومية من القوميات الإيرانية المتنوعة - الفرس، والترك، والكرد، والعرب، والبلوش، والتركمن، واللر -على حِدة، تلقينات شيطانية كي ينفّروا القلوب ويكدّروها ضد بعض. يقولون للطهراني والإصفهاني

شيئًا، ويقولون للبلوشي - وقد قضيت مع البلوش مدة من الزمن قبل الثورة - شيئًا، ويتحدثون في كردستان بأشياء أخرى. كان لا بد من درجة عالية من الوعي كي يستطيع الشعب الإيراني النهوض لأداء رسالته الكبرى التي ألقيت على عاتقه ببركة رفعه راية الإسلام. خاض الشعب الإيراني جهادًا طويلاً في مختلف أرجاء هذا البلد الكبير، وقد أديتم أنتم أهالي كردستان نصيبكم من هذا الجهاد العام الكبير على أحسن وجه. هذه من الأمور التي ستبقى في ذاكرة التاريخ الإيراني.

[التنوع القومي فرصة مغتنمة]

أعزائي، ليعلم الجميع أن النظام الإسلامي يرى التنوع القومي في بلادنا الكبيرة الشامخة فرصة مغتنمة. التقاليد المختلفة والأعراف والعادات والمواهب المتنوعة فرصة تتيح لمكونات الشعب تكميل بعضها عبر التعاطي الصحيح والتعايش والاتحاد التام. إنه لفخر لشعبنا أن ينظر لتنوعه القومي من هذه الزاوية. والسبب هو أن الإسلام مصدر إلهام هذا النظام، ولا فرق في النظرة الإسلامية بين الأعراق واللغات المختلفة حتى لو كانت من أمم وشعوب شتى، ناهيك عن القوميات المتنوعة داخل الشعب الواحد. هذه هي نظرة الإسلام وهي أيضًا نظرة النظام الإسلامي. لذا نحن ننظر للمنطقة الكردية - محافظة كردستان - ومناطق القوميات الأخرى

نظـرة إسـلامية مضـمونها الأُخـوّة والاتحـاد والتعـاطف والصـميمية. وكل من يعارض هذه النظرة ويختار أسلوبًا آخر يكون قد سلك مسلكًا معارضًا لسياسة النظام الإسلامي.

[جهاد الأكراد]

الجميع أدركوا حقيقة أن النظام الإسلامي يعتبر أهـالي هـذه المحافظة أهله والأوفياء للثورة وجنودها. لذلك حينما تحدثت بعض أصـابع الأجـنبي هنـا وفي أمـاكن أخـرى باسـم الأهـالي الكـرد وأطلقت بعض الكلام الذي لم يكن الأهالي الكرد على أية صلة به، ويوم فكّرت أيادي الأعداء الشيطانية بالفتنة واقتتال الإخوة في هذه المحافظة والمحافظات المجاورة، تقدم أهالي المحافظة أنفسهم للخطـوط الأماميـة فكانـت هنـاك جماعـة مجيـدة ورشـيدة مـن البيشـمرگة الأكـراد الإسـلاميين الخالـدين في ذاكـرة المجاهـدين. نحيّي أرواحهم حيث استشهد من أبناء هـذه المحافظـة خمسـة آلاف وأربعمائة شهيد، كمـا نحيّـي مـن بقـي مـنهم وعوائلهم. نسـأل الله تعالى لهم جميعًا الرحمة والمغفرة.

انطلاقة أخرى نحو العزّة

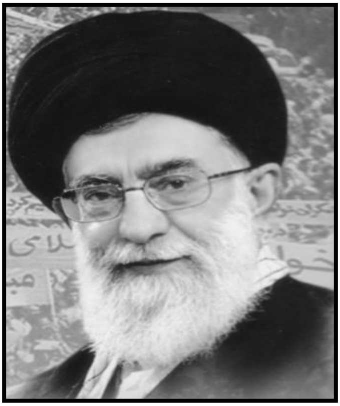

عطاء زيارة السيد القائد لمحافظة كردستان

كل المشاريع الإنمائية والوحدوية تبقى تراوح في مكانها إذا لم يكن وراءها الإنسان الذي يشعر بعزته وكرامته. فالعزّة هي الحياة، والذلّ هو الموت، من هنا ركز الإحيائيون على العزّة باعتبارها المنطلق نحو إحياء الإنسان، ونحو دفعه على حركة الكمال.

في زيارة السيد القائد إلى كردستان أطلق سماحته موجة ضد الطائفية وضد النعرات القومية العنصرية، غير أنه لم يفته أن يركز على مسألة هامة هي «العزّة الوطنية» أو قل الشعور بالعزّة في الانتماء إلى الوطن ويقابلها الشعور بالمهانة والدونية.

هذه العزّة ـ كما ذكرنا ـ هي الحياة، والجسد الحيّ مترابط إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، على العكس من الجسد الميت، فهو متفتّت، في معرض فتك كل العوامل المضادّة.

ومما قاله سماحته في موضوع العزّة:

[العزّة من مؤشرات طريق الشموخ]

أذكر بهذه المناسبة نقطة أساسية هامة. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء! رسم الإسلام، من أجل بناء مجتمع شامخ متوثّب، خصوصيات معينة وعرض سبيل الوصول إليها للمسلمين والأمة الإسلامية على مرّ التاريخ. من هذه الخصوصيات والمؤشرات العزة الوطنية.. العزة.. كما أن الفرد لا يريد أن يكون ذليلاً بل عزيزًا فإن من الآمال الكبرى لأي شعب أن يكون عزيزًا ولا يكون ذليلاً.

[ما هي العزّة الوطنية]

ما هي العزة الوطنية؟ العزة الوطنية هي أن لا يشعر الشعب بالمهانة في نفسه ومن نفسه. النقطة المقابلة للشعور بالعزة هي الشعور بالمهانة والدونية. حينما ينظر الشعب لذاته - لأرصدته، وتاريخه، وتراثه التاريخي، وكنوزه البشرية والفكرية - يشعر بالعزة والكبرياء ولا تنتابه المهانة والذلة. هذه من الأمور الضرورية للشعب. وقد أشار القرآن في مواطن عديدة لهذا المعنى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. كان المنافقون يتحدثون فيما بينهم

ويقولون إننا أعزاء وسوف نخرج المسلمين - وهم الأذلة - من المدينة! أوحى الله للرسول أنهم يقولون ذلك لكنهم لا يفقهون ولا يعلمون.. فالأعزة هم المؤمنون، والعزة لله ولرسول الله وللمؤمنين بالله. هذه لوحة مشرقة يجب أن تنتصب دومًا أمام أعين الأمة الإسلامية: «العزة الوطنية».

[الشعور بالذلّة سقوط]

إذا لم يشعر الشعب بالعزة، أي إذا نظر لما عنده من تقاليد وأعراف ولغة وأبجدية وتاريخ ومفاخر وشخصيات كبرى بعين الصغار والاحتقار واعتبرها صغيرة وشعر أنه لا يمتلك شيئًا فسيقع في قبضة هيمنة الأجانب بسهولة.

منذ أن دخل المستعمرون بلدان الشرق - ومنها البلدان الإسلامية - في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ولأجل أن يستطيعوا تكبيل أيدي هذه الشعوب وأرجلها بقوة وجعلها أسيرة لهم راحوا يبثون فيهم اليأس وسوء الظن تجاه ماضيهم وتراثهم ودينهم وأعرافهم وأزيائهم. هذه أمور فيها عبرَ. ووصل الأمر في بداية ثورة الدستور في إيران إلى أن يقول أحد من يسمّون بالمستنيرين: يجب على الإيراني أن يصبح أجنبيًا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه! أي أن ينبذ دينه، وأخلاقه، وأزياءه، وخطه، وماضيه، ومفاخره وينساها، ويتبنّى مكانها الثقافة الغربية، والأعراف الغربية، والتقاليد

الغربيـة، والـتفكير الغربـي، والمنـاهج والأسـاليب الغربيـة.. هـكذا أعلنوا. هذا الهتاف المذل رَفَعه في بلادنـا الـذين أداروا ظهورهم للدين، وواضح أن البلاد إذا فقدت كل ما تملك وتم تفريغها من الداخل سيستطيع الاستعمار الإنجليـزي السيطرة على كل مـا لديه مـن نفـط، وجيش، وممتلكـات، وأجهـزة سياسية.

[الحكومات الدكتاتورية تمارس الإذلال]

بلغت الأمور في العهد البهلوي إلى درجة أن الشـاه الخـائن ولأجـل أن يعيّن فلانًـا رئيسًـا للـوزراء كـان مضـطرًا لمناقشـة الموضـوع مـع السـفير البريطـاني، ثـم السـفير الأمريكـي بعـد ذلك، ويحصل منه في الواقع على إذنٍ لـذلك التعيين. هـذا هـو تاريخ بلادنا في الماضي. هذا على النقيض مـن العـزة الوطنيـة. الحكومات الدكتاتورية التابعة الفاسـدة أنزلـت شـعب إيـران عـن أريكـة العـزة، لم تنمِّ علمـه، ولم تـبنِ دنيـاه، بـل وسـلبته آخرته وألبسته ثياب الأسر والاستعباد. قامت الثورة الإسلامية لمواجهـة مثـل هـذا الوضـع، ووقفـت الثـورة الإسـلامية والإمـام الجليـل مقابـل مثـل هـذه المصـيبة الكـبرى وأهـدى الشـعب الإيراني دمه في هذا السبيل وانتصر.

حينما تسود مثل تلك الروح الذليلة بين أحد الشعوب فـإن الجهاز السياسي في ذلك البلد، وشعبه بنحو طبيعي، سيسلك

طباع الخدم، ويكون ذلك الجهاز مقابل شعبه كالكلب المفترس والذئب السفاح لكنه أمام الأعداء كالحمل الوديع المروّض: «أسد عليَّ وفي الحروب نعامة». رضا خان الذي تعامل بكل ذلك العنف خصوصًا في النصف الثاني من فترة حكمه - حيث لم يكن الشعب يجرأ على أن ينبس ببنت شفة، وكان الأب لا يثق بابنه والأبن لا يثق بأبيه حتى في داخل المنزل -زال عن السلطة الملكية كالفأرة الميتة برسالة بسيطة من الإنجليز، قالوا له فيها: «يجب أن تعتزل السلطة»! وكذا الحال بالنسبة لمحمد رضا بهلوي؛ مارس محمد رضا بهلوي في سنوات عقدي الأربعينات والخمسينات (الستينات والسبعينات للميلاد) أعنف الضغوط على هذا الشعب وعلى المناضلين والتحرريين - بعنف وبدون أن يقيم للشعب وزنًا - لكنه كان خاضعًا خاشعًا أمام سفير أمريكا وسفير بريطانيا يسمع كلامهم ويطبقه! وكان مستاءً من هذا الوضع لكنه مضطر إليه. هذه حكومة شعب محروم من العزة الوطنية.

[الثورة الإسلامية منحت العزّة]

من أهم الأمور التي منحتها الثورة الإسلامية لنا نحن الشعب الإيراني هو الشعور بالعزة. إمامنا الجليل كان مظهر العزة، يوم قال الإمام علنًا: «أمريكا لا تستطيع ارتكاب أية حماقة». كانت أمريكا في ذروة اقتدارها السياسي

والعسكري في العالم. أعاد الإمام الشعور بالعزة لهذا الشعب، وأعادت الثورة الشعور بالعزة لشعب إيران. الإيراني اليوم يفخر بإيرانيته وبإسلامه. يعترف أقوياء العالم اليوم أن تهديداتهم وقدراتهم العسكرية وإعلامهم السياسي لا تأثير له إطلاقًا مقابل الشعب الإيراني. الشعب الإيراني سيسير في الطريق الذي اختاره ونحو الهدف الذي اختاره بكل قوة وسيبلغ ذلك الهدف. المهم هو الحفاظ على هذه العزة الوطنية.

[حافظوا على العزّة]

إخوتي وأخواتي، أيتها الجماهير العزيزة في كردستان ويا شعب إيران العظيم، علينا جميعًا التنبّه والحفاظ على هذه العزة الوطنية. لا يمكن صيانة العزة الوطنية بمجرد اللسان والادعاء والشعارات. إذا كان الشعب الإيراني اليوم عزيزًا وله نفوذه في السياسات العالمية الكبرى فالسبب يعود لإيمانه وأدائه وإبداعاته ومبادراته الشجاعة وفي وحدته وتلاحمه.

أي عنصر من هذه العناصر إذا فقدناه تعرضت عزتنا للخطر. إذا فقدنا وحدتنا، أو إذا فقدنا إيماننا، وإذا خسرنا روح الجد والسعي والعمل - والتي يمكن لمسها اليوم والحمد لله لدى الشعب الإيراني الكبير ولا سيما جيله الشاب - فسوف نخسر عزتنا. هذه نقطة أساسية لتحليل الأحداث السياسية، خصوصًا بالنسبة للشباب.

الطائفية تنفعل

خلفية العمل الإرهابي في زاهدان

كلّما واجهت الطائفية صفعة في منطقتنا الإسلامية تهبّ قوى الاستفزاز الطائفي لمواصلة عمليات الإثارة.

شاهدنا هذا الوضع في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، إذ ما إن انتصر الإسلام في إيران وساد المشروع الإسلامي ليدفع بكل الطاقات الوطنية سنية أو شيعية، مسلمة أو غير مسلمة، فارسية أو كردية أو تركية أو عربية أو بلوجية أو لُرّية، نحو معركة الهدم والبناء، حتى ظهرت في السنين الأولى موجة من الإثارات بين القوميات الإيرانية، ثم بدأت حرب على إيران استمرت ثماني سنوات تحت عنوان محاربة الفرس المجوس!! وواضح أن العنوان ينطوي على محتوى عنصري وطائفي.. ولا تزال تظهر بين الفنية والأخرى إثارات هنا وهناك.

وحين انتصر حزب الله في لبنان، واجه حربًا طائفية فظيعة، رغم أنه يتعالى في خطابه وفي ممارساته وجهاده وعلاقاته عن أي توجّه طائفي (وسنقف في هذا العدد عند آخر ما واجهه حزب الله من حرب طائفية، بل وعنصرية أيضاً).

وفي العراق، حين تمّ القضاء على أفظع نظام دموي في التاريخ، وخرجت الجماهير العراقية على أثر ذلك تعلن وحدة السنّة والشيعة

وترفض الطائفية التي قام عليها نظام صدام، أُثيرت في العراق موجة طائفية رهيبة أزهقت الأرواح وأبادت الأخضر واليابس.

وأخيرًا في الجمهورية الإسلامية أطلق الإمام الخامنئي من كردستان ثورة أخرى على الطائفية، ولكن لم تمض أيام حتى عمد الإرهابيون المرتبطون بقوى إقليمية وأجنبية (حسب وثائق دقيقة) إلى تفجير مسجد في زاهدان ذهب ضحيته العشرات.

ولما كانت زاهدان من المدن التي يعيش فيها أهل السنة والشيعة متآخين متعاونين متحابين فإن العمل الإرهابي كان قصده استهداف هذه الأخوّة وإثارة نزاعات طائفية. لكن حكمة الأهالي وأجهزة الأمن فوّتت الفرصة على الإرهابيين، وردّت كيدهم إلى نحورهم.

وبهذه المناسبة وجه السيد القائد الخامنئي نداءً أشار فيه إلى تلطخ أيدي المخططين السياسيين لبعض القوى العاملة على التدخل وأجهزتها التجسسية في خلق الفتنة والاقتتال بين المسلمين مؤكدًا على ضرورة تحلّي الشعب باليقظة، وعلى متابعة المسؤولين، والتنبّه الكافي لمؤامرة الأعداء عن طريق الحفاظ على التلاحم والوحدة الإسلامية والوطنية. وفيما يلي ترجمة نص النداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحدث الإرهابي الدامي في زاهدان والذي أدى إلى

استشهاد عدد من محبّي أهل بيت النبوة وإصابة عدد أكبر منهم في ذكرى رحيل السيدة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها تسبّب في أسفي وألمي وقلقي الشديد.

الاعتداء على أرواح الناس المؤمنين المجتمعين في بيت من بيوت الله لعبادة الله وإبداء الحبّ والمودّة لأهل البيت عليهم السلام جريمة كبرى سوف لن يغفر الله لمرتكبيها ومسبّبيها: ﴿ومن يَقتُل مؤمنًا متعمِّدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ﴾.

الذين باشروا ارتكاب هذه الجريمة مع أنهم ربما ارتكبوا هذا الذنب الكبير بدافع العصبية والجهل، ولكن لا يمكن الشك في أن أيدي المخططين السياسيين لبعض القوى العاملة على التدخل وأجهزتها التجسسية هي أيضًا ملطخة بدماء الأبرياء في هذا الحدث الدامي.

خلق الفتنة والفوضى والاقتتال بين الإخوة المسلمين في بلدان المنطقة وفي بلدنا العزيز من الأهداف الدائمية لأعداء الجمهورية الإسلامية ولا يمكن صدّ مثل هذا الخبث والرذيلة إلا بوعي الجماهير ومتابعة المسؤولين للقضية.

من الضروري لأهالي زاهدان المؤمنين الواعين والأهالي في باقي مدن تلك المحافظة وفي كل أنحاء البلاد أن يتفطنوا بما فيه الكفاية لمؤامرة العدو والحفاظ على التلاحم والوحدة

الإسلامية والوطنية لإفشال خطط أعداء إيران والإسلام.

ومن الضروري لعلماء أهل السنة ومعتمديهم في تلك المحافظة التعبير مرة أخرى عن مواقفهم الحاسمة في النفور من المفسدين الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم باسم الدفاع عن أهل السنة، وتوعية الجماهير بكيد الأعداء ومكرهم. كما يجب على علماء الشيعة وأصحاب النفوذ فيهم توعية الجميع بالنية المشؤومة للأعداء في زرع الأحقاد الطائفية والقومية والحؤول دون ردود الفعل العصبية غير المدروسة. وعلى المسؤولين والمأمورين الأمنيين والسياسيين حماية أمن عموم المسلمين بكل جد ويقظة وتسليم مرتكبي هذه الجريمة لقبضة العدالة.

أتقدم بالعزاء والتعاطف للعوائل المفجوعة سائلاً الله تعالى علوّ الدرجات للشهداء والشفاء العاجل للمصابين.

السيد علي الخامنئي

٤ جمادي الثاني ١٤٣٠

سلاح العنصريّة
بوجه حزب الله أيضا

العنصريّة والطائفية أصبحتا «كشقّي مقص تجمعتا ..

على غير شيء سوى التفرقة».

لقد واجهت المقاومة الإسلامية في لبنان حربًا طائفية اشتركت فيها أقطاب دولية وإقليمية. وتقوم هذه الحرب على خلفية أنّ حزب اللّه شيعي.. والتشيّع صوّروه، في ضخّ إعلامي هائل، على أنه خطر على أهل السنّة!!!

لا نريد الدخول في مناقشة هذه الصورة المغلوطة المخالفة للتاريخ وللواقع، والمتعارضة تماماً مع مصالح الأمة وآمالها في مستقبل أفضل.

وإنما نريد الوقوف عند حرب نحسبها جديدة وغريبة كلّ الغرابة، وهي محاربة حزب اللّه في لبنان بسلاح التعصّب القومي!!

نعم، لقد حاربوا الجمهورية الإسلامية الإيرانية بسلاح القومية

العربية.. حاربوها حين عادت إيران إلى دائرة الحضارة الإسلامية، وتبنّت القضايا العربية، وأقرّت اللغة العربية في دستورها، وحوّلت سفارة إسرائيل في طهران إلى سفارة فلسطين.. حاربوها باسم القومية العربية بعد أن تحولت من قاعدة للتآمر على العرب وعلى آمال العرب في التحرر إلى قاعدة لمساندة العرب وللمشاركة في آمال العرب وآمالهم.. حاربوها باسم القومية العربية بعد أن تحولت من نظام شاهنشاهي يحتقر العرب ويذلّ العرب، إلى نظام يشعر أن عزّته جزء لا يتجزأ من عزة العرب.. حاربوها باسم القومية العربية بعد أن أزالت نظامًا يقوم على أساس إحياء الأمجاد الفارسية القديمة إلى نظام يفخر بتاريخه الإسلامي وبتراثه الإسلامي.. حاربوها باسم القومية العربية بعد أن تولّى قيادة الأمة رجلٌ من أبناء الرسول العربي محمد بن عبدالله(ص).. حاربوها باسم القومية العربية بعد أن تبنّت إحياء حركة الحضارة الإسلامية للأمة بأجمعها من طنجة إلى جاكارتا...

شنوا عليها حربًا باسم مقاومة «المدّ الفارسي المجوسي»! وباسم المحافظة على «البوابة الشرقية»!!!..

ولكن الأغرب من هذا أن الحرب العنصرية تُشنّ اليوم ضد حزب الله العربي في لبنان!!

فقد تحدّث أحدهم عن حزب الله بأنه «تهديد للكيان وللوجه العربي للبنان»!!

وقبل أن أذكر ما قاله سيّد المقاومة في ردّه على هذه المزاعم، أذكر أنني زرت لبنان أخيراً واشتركت في مؤتمر عن اللغة العربية ومستقبلها هناك، فرأيت المخلصين من اللبنانيين يبكون على اللغة العربية في لبنان، لأن المدارس اللبنانية الخاصة ماعادت تدرّس المناهج باللغة العربية، بل استفادت من القانون اللبناني الذي يجيز التدرّيس باللغتين الانجليزية والفرنسية، فانتقلت بأجمعها للتدريس بإحدى اللغتين، وبقيت مدارس «المقاصد الإسلامية» وحدها تدرس باللغة العربية، وهذه حين قلّ طلابها بشدّة انتقلت إلى التدريس باللغات الأجنبية.

قال أحد المخلصين في المؤتمر: إن اللغة العربية أصبحت في لبنان لغة شراء الخيار والبندورة والبطيخ، أما لغة العلم والأدب والثقافة فهي الفرنسية أو الانجليزية!!

أذكر أني ذهبتُ للتجول في إحدى المزارع هناك فسلّمتُ على المزارع، وقلت: سلام عليكم. فأجاب: «بنجورين». ولابدّ أنه ثنّى «بنجور» على وزن «مرحبتين»! وجدت بعض المثقفين يتكلم بلغة مملوءة بالمفردات الفرنسية.. ورأيت تلفازاً «لبنانياً» يذيع نشرة الأخبار بلغة عامية ممزوجة بالفرنسية.. ورأيت ورأيت.. ما جعلني أنا الإيراني أغار على اللغة العربية وآسف على وضعها المتردّي في بلد عربي!! بطريركه يرى أن حزب الله يهدّد الوجه العربي في لبنان!!

أليس هذا غريبًا!! أليس حزب الله يمثّل فخر العرب وعزّ

العرب وكرامة العرب في لبنان؟! أليس هو المدافع العنيد أمام أعتى عدوّ للعرب والمقاوم العتيد أمام أكبر تهديد أمني وسياسي واجتماعي وثقافي للعرب؟!

أما ما قاله سيد المقاومة وحبيب الأمة الإسلامية السيد حسن نصر الله معلقًا على التهمة:

«البطريك موجود (في موقعه) منذ الثمانينات وحتى الآن، وخلال هذه الفترة شهدنا حروبًا إسرائيلية واعتداءات وتهجيراً ومشاريع توطين وتسويات وفرض شروط على لبنان، لكن لم أسمع مرة البطريرك يتحدث عن تهديد الكيان، فهل حقيقة كل ما فعلته إسرائيل، وحتى بعد خطاب نتنياهو، سابقًا وحاليًا ومستقبلاً لم يكن يستدعي خلال ٢٥ سنة من تولّي البطريرك المسؤولية أن يتحدث عن تهديد الكيان...؟!»

❖ ❖ ❖

وتابع: «أما في مسألة وجه لبنان العربي، فهل نحن في المعارضة عرب أم لا؟!

إذا كان المقصود سورية فهي عربية. وسواء كان لبنان يقيم علاقة مميزة معها كدولة عربية أو يرتبط بمحور عربي آخر، لن أسميه، تأثيره واضح على الساحة اللبنانية وفي الاستحقاقات المقبلة، فهل هذا وجه عربي وذاك لا؟!

قد يكون المقصود إيران، علماً أن ليس فيها الآن شيء اسم «تفريس»..

بل الموجود فيها هو الحضارة الإسلامية..

ودين محمد العربي الهاشمي القرشي..

ومؤسسها هو عربي ابن عربي ابن رسول الله..

ومرشدها الأعلى هو سيد قرشي هاشمي ابن رسول الله.. ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء.. هؤلاء عرب...».

وعن الشيعة قال سيد المقاومة: «إن تحريضاً كبيراً حصل بأنه إذا فازت المعارضة فإن ذلك يعني حكم الشيعة للبنان، والذي سيحكم هو السيد حسن وليس العماد عون، وهذا كذب وتزوير للحقائق».

«كنا طائفة مستضعفة، وكل ما نطمح إليه هو الشراكة الحقيقية، ونؤمن بخصوصية لبنان وتعدديته، وبأنه لا طائفة في لبنان تستطيع أن تحكم لبنان مهما بلغت من منعة وقوة..»

ستبقى مناقبية حزب الله في انتصاراته العسكرية وما بعد الانتصارات، وفي مواقفه من الطوق الظالم الذي يراد أن يفرض عليه، وفي إبائه الضيم، وفي سعة صدره أمام سهام التهم والأباطيل، وفي التزامه الصارم بالخلق الإسلامي الإنساني الكريم، وفي ارتباطه الوثيق برساليته وبربّه وبهدفه الكبير، وفي دفاعه عن شرف الأمة وعزتها وكرامتها.. سيبقى خالداً في التاريخ يغذّي الأجيال بزاد السير على طريق ذات الشوكة.

المؤتمرات

بين الشعار والمشروع

السيد محمد حسين فضل الله*

●عندما تتحول المذهبية إلى طائفية تصبح المسألة عشيرة هذا المذهب وعشيرة ذلك المذهب ● أدمنّا ثقافة التجزئة حتى تحوّل المذهب الواحد إلى مذاهب ●أصبحت مسألة التكفير هي الطابع الذي يحكم الواقع الإسلامي● إننا متخلّفون في معنى دور الإسلام في الحياة وحركته في مواجهة التحديات● لقد انطلق الإسلام من القمقم ولكن حراس القماقم عملوا ليدخلوه في قمقم العصبية من جديد● الذين لا يفتحون قلوبهم للحوار هم جبناء ●هل جرّبنا أن نحوّل المؤتمر في شعاراته وقراراته إلى مشروع ●أخشى أن هناك مذهبيات داخل الحركات الإسلامية تجعلها تنفصل عن بعضها البعض● إذا لم نجرح الواقع لن نستطيع أن نصلحه● إذا درسنا الواقع نجد أننا مشغولون بكل شيء إلا الإسلام.

---

* ـ عالم إسلامي كبير.

وتكثر المؤتمرات وتتعدد الشعارات ونظل في مكاننا، .. نحن لا ننكر أن التقريب عندما انطلق من دار التقريب في القاهرة كان انطلاقة ضوء في كل ذلك الظلام الذي عاش فيه المسلمون التعصب، الذي لم ينطلق حتى مما يتحدث به المتعصبون من فكر هنا أو هناك، كان تعصبًا ينطلق من تخلف في فهم معنى الإسلام في حركته في العالم.. لأن المشكلة قد تكون في فهم ما هو الإسلام بحيث نستطيع أن نلاحق كل تطورات الوعي في العالم لنعرف مكان الإسلام من ذلك، هل نستطيع أن ندخل العالم في متغيراته المتلاحقة، أو يبقى حيث هو في مرحلة من مراحل التاريخ. ويبقى السؤال هل نحن جادون في الدعوة للوحدة الإسلامية أو نشبه الذين تحدث القرآن عنهم ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾.. نطلق الوحدة الإسلامية ونجامل بعضنا بعضًا، ونتحدث عن الوحدة في العقيدة وأمام الاستكبار، ولكن لنحدق في الواقع، يرجع معظمنا إلى قاعدته ليقول: إننا نجاملهم، الحق معنا مائة بالمائة، وليس الحق مع الآخرين، المذهب كله حق والمذهب الآخر كله باطل، وليست هناك أية فرصة إسلامية في العمق لنتحاور ونراجع ما اعتقدناه هنا وهناك..

لماذا يزداد التعصب المذهبي المغلّف بغلاف طائفي.. كل تنوع للفكر يُغني العنوان الكبير، ولكن المشكلة هي عندما تتحول المذهبية إلى طائفية بحيث تكون المسألة عشيرة هذا المذهب

وعشيرة ذلك المذهب، المهم أن نحافظ على العشيرة وليس الفكر.. تحوّلَ المذهب إلى جماعات ولم يتحرك ليكون خطاً للفكر، وتحولت الدوائر الدينية إلى ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ . وإذا حاول البعض أن يتقدم خطوة نحو الحقيقة فهناك الإرهاب الفكري.. حتى أن المسألة تحركت في أننا أدمنا ثقافة التجزئة حتى تحوّل المذهب الواحد إلى مذاهب، وانطلقت العصبية التي تحكم المذهبية لتحكم الآراء داخل المذاهب، ولم تعد المشكلة في كيف نوحّد المسلمين بل كيف نوحّد السُّنة في داخلهم والشيعة في داخلهم، أصبحت مسألة التكفير هي الطابع الذي يحكم الواقع الإسلامي، من دون أن نحدّد ما هو مفهوم الكفر في الإسلام.. ضاعت المسألة في داخل هذا المفهوم فأصبح لكل جماعة أو فئة مفهومها في الكفر والضلال وما إلى ذلك... **لا أريد أن أسجل تشاؤمًا أو يأسًا ، بل مشكلة حقيقية تحفر في داخلنا.**

إننا متخلّفون في معنى دور الإسلام في الحياة وحركته في مواجهة التحديات. أن تدخل الإسلام في سجن ذاتك وتغلق عليه وهكذا يفعل الآخر، لقد انطلق الإسلام من القمقم ولكن حراس القماقم عملوا ليدخلوه في قمقم العصبية من جديد.

هناك فرق بين التعصب والالتزام، أن تتعصب أن تختنق في ذاتك، وأن لا تفكر من جديد، وأن تلتزم أن تعطي قناعتك

بالفكرة معنى حركة الفكرة في وجدانك، ولكن أن تفكر أن لا ترجم الآخر عندما يختلف معك.

الذين لا يفتحون قلوبهم للحوار هم جبناء.. لا تخافوا على الإسلام عندما يدخل ساحة الصراع، لأن الإسلام بما يملك من عناصر القوة يستطيع أن يحمي نفسه في حركته الفكرية من الآخرين، ومن أتباعه عندما يسيئون فهمه ويتحدون الأصالة فيه.

كم أطلقنا من المؤتمرات، وأصدرنا من البيانات، ولكن هل جربنا أن نحوّل المؤتمر في شعاراته وقراراته إلى مشروع؟ هل جربنا في آلية الوحدة الإسلامية أن ندرسها في الواقع لتنطلق في الواقع.. نحن الذين ننطلق ونحضر مؤتمرات الوحدة الإسلامية هل نزلنا إلى الأرض؟ لكل منا مذهبه وحركته وحزبه، الوحدة الإسلامية تنطلق كشعار والمذهبية تنطلق كواقع، ...

لماذا تزداد الأحزاب الإسلامية طائفية.. ولا أتكلم بشمولية بل كظاهرة. لماذا لا نطمع بأن تتعاون الحركات الإسلامية مع بعضها، ربما تتعاون القيادات لأن الجميع يحافظ على الواجهة؟.. إننا لا نرى في الواقع تكاملاً وتداخلاً بين قاعدة حركة إسلامية وقاعدة حركة إسلامية أخرى... أنا لا أنكر وجود حركات إسلامية تفكر بانفتاح ولكن الظاهرة ليست كذلك.

كنا ننتظر أن تحل الحركات الإسلامية حالة العصبيات في مجتمعات المذاهب الإسلامية، ولكنني أخشى أن هناك مذهبيات

داخل الحركات الإسلامية تجعلها تنفصل عن بعضها البعض.

نحن نخاف من الصراحة، لماذا لا نخطط للصراحة.. المسألة هي أن كل واحد منا يخاف من المناطق الخفية في الآخر، وهي التي تعقّد كل هذا الواقع الذي نعيشه، لذلك إذا كنا نؤمن بأفكارنا، ونريد للآخرين أن يصدقوا بأننا مخلصون، لماذا تكون كل المجاملات المنافقة هي أسلوبنا في التخاطب.. إذا لم نجرح الواقع لن نستطيع أن نصلحه. **إن مجاملة الواقع يجعل هناك تراكمات قد تدفن الواقع إذا كان فيه بعض الأصالة.**

إذا درسنا الواقع نجد أننا مشغولون بكل شيء إلا الإسلام، ينطلق الحزب أو الحركة إسلاميًا ثم ينسى الإسلام. والقضية ليست أن يكبر الإسلام بل أن يكبر الحزب والحركة والمنظمة والمرجعية، أن نكبر نحن لا الإسلام. ولذلك تكثر كل هذه الطفيليات في واقعنا. لماذا لا نتحدث بموضوعية؟ لماذا تتحول الخلافات الفكرية إلى عداءات وأحقاد؟!.. ليست التقوى أن تصلي جيدًا فقط، بل أن يكون لك تقوى الفكر والقلب والكلمة والموقف والالتزام.. لنعترف أننا متعصبون، ولسنا ملتزمين. ولذلك نحن نتشارك في أن نتراجع بالإسلام عن مواقعه. ربما نعطي الإسلام شعارًا براقًا، ولكن عندما تنزل إلى الجامعة فأين الإسلام فيها وأين كل الحركات الإسلامية في صراع الفكر..

إننا نريد الوحدة الإسلامية للإسلام، لا نريدها شعارًا للإسلام، نريدها للإسلام قوة توحد الفكر أو تقاربه، لتتفتح

على الآخرين من خلال كلمة سواء تتعاون مع كلمة سواء أخرى.

علينـا عنـدما ننتهـي مـن المـؤتمرات أن ننـزل إلى الأرض، إلى القاعـدة، أن نحـدثها عـن الوحـدة الإسـلامية، وأن الخلافـات بـين المسلمين يمكن أن تمثل التنوع الذي يغني الإسلام وأنها قد تكون ناشئة من عدم الفهم الناتج عن عدم التقارب والمكاشفة.. ليس المؤتمر هنا، ولكن المؤتمر في كل مساجدنا ومواقعنا ومنتدياتنا. إذا كنا نقتنع بالوحدة الإسلامية، علينا أن ننزل إلى القاعدة، وربما تنطلق القاعدة التي ربيناها على الحقد لترمينا بالحجارة ولنعتبر هذه الحجارة وسامًا، لأن الذي يرجمك هو التخلف وليس الوعي، والتخلف هو الذي رجم الأنبياء في التاريخ.

أنـا لسـت مـع الـذين يقولـون علينـا أن لا نـدرس القضـايا الأساسية، إن هذه القضايا هي التي تمد الواقع بالحقد، **علينا أن ندرسها ولكن بروحية علمية منفتحة**... إننا نحمل مسؤولية الجيل القادم الذي نريده أن يكون متعصبًا على صورتنا، ونحن نعرف أن هذا الجيل هو جيل طاهر يريد أن يواجه كل التحديات الكبرى في العالم.. لماذا لا نعلّمه أن يكون موضوعيًا وعقلانيًا في الحوار والأسلوب... ثم هذا الواقع الإسلامي كم أدمنّا فلسطين وضاعت فلسطين، وكم أدمنّا أفغانستان وضاعت أفغانستان.. القوم يخططون ونحن نهتف، والقوم يحتلون ونحن نتنازع... مشكلتنا هذا السطح الذي نطفو عليه، وأن الكلمات تقيمنا وتقعدنا، **يرسل الرئيس الامريكي كلمة يعد فيها ويعد، ونحن**

نتفاءل ونحن نلهث وراء هذا السراب حتى إذا جئناه لم نجده شيئًا.

أيها المسلمون من كل المذاهب هل تريدون الإسلام أم ذاتياتكم؟... العالم يُعلن الحرب على الإسلام، وعلينا أن نستعد للمعركة، أن تكون الوحدة الإسلامية هي معنى الإسلام فينا.

أيها الأحبة كونوا المسلمين الشيعة والمسلمين السنة لأنكم إذا أغفلتم انتماءكم للإسلام فإنكم تؤكدون المذهب على حساب الإسلام... إن الساحة تضم الكثير من التناقضات، والأفق يحمل الكثير من الآمال، تعالوا إلى الواقع لنخطط ونعمل ونتقي الله في حاضرنا وواقعنا ولنفكر مليًا في المستقبل.

انظروا ولاحظوا من هم الذين يريدون إفساد وحدة الشعب الإيراني؟ اعلموا أنهم عملاء الأعداء. إما إنهم من الأعداء ويتحدثون حديثهم، أو إنهم من أصابع العدو. لا شك في ذلك. الذي يرفع نداء التفرقة بين الشيعة والسنة ويريد إرباك الوحدة الوطنية بذريعة الطائفية، إنما هو مرتزق للعدو سواء كان شيعيًا أو سنيًا، وسواء علم بذلك أم لم يعلم. بعضهم مرتزقة للعدو وهم لا يعلمون.

الامام الخامنئي

محمد باقر الصدر
بمناسبة ذكرى استشهاده

نعود إلى القول ـ كما ذكرنا في العدد ١٢ ـ الإنسان يقف مشدوهًا حائرًا أمام شخصية عملاق الفكر الإسلامي المعاصر محمد باقر الصدر لسعتها وعظمتها وسموّها ونبوغها، لا يدري أي جانب يتناول منه إذا أراد تعريفه.

عظمة هذا الرجل تعود إلى توفّر كل عناصر سموّ الكائن البشري فيه، وعلى رأسها تحرره من ذاتيته الفردية وذوبانه في ذات الله.

هذا إلى جانب خصائص تجمّعت فيه وقلّما تجتمع في شخص واحد ومنها: العمق العملي، والذهنية المنفتحة على الرسالة الإسلامية بأوسع أبعادها، وفهمه المركز للواقع الاجتماعي ولما يحيط بعصره من فرص وتحديات وتيارات واتجاهات فكرية وسياسية، ونبوغ فريد أهّله لأن يغوص في أعماق كل ما يهتمّ به من مشاريع ومواضيع فكرية وعلمية وعملية.

دع كل ذا، فالحديث عن إخلاص الشهيد الصدر لربّه كاف لسموّه. وهذا هو الذي فجّر فيه كل الطاقات التي أودعها ربّ العالمين في الكائن البشري حين نفخ فيه سبحانه من روحه،

فاستحقّ أن تسجد له الملائكة وتأهّل لحمل الأمانة الكبرى.

ينتمي الشهيد محمد باقر الصدر إلى أسرة الصدر المعرفة بالعلم والجهاد والتقوى، وأمه من أسرة آل ياسين التي لا تقل شأنا عن أسرة الصدر.

ولد في مدينة الكاظمية قرب بغداد، وفقد والديه في صغره، وتولّى تربيته أخوه الأكبر السيد إسماعيل الصدر.

درس مقدمات العلوم في مسقط رأسه، وواصل دراسته في النجف الأشرف، وبدا عليه النبوغ منذ صغره وبلغ درجة الاجتهاد ولمّا يبلغ الحُلُم، وهي ظاهرة نادرة جدًا في تاريخ الحوزات العلمية. وكتب في علم أصول الفقه: «غاية الفكر في علم الأصول» في العشرين من عمره وطبع ونشر سنة ١٣٧٦هـ .

رغم تعمّق هذا الشاب في الدراسات الفقهية والأصولية، فإنه لم يتقوقع في إطارها، بل اتجه إلى المقصد الإسلامي الكبير، وهو إقامة الحياة الإسلاميّة وفق ما تتطلبه ظروف العصر، فقدّم بلغة العصر ما يخدم هذا المقصد.

كانت الظروف التي أحاطت بالعالم الإسلامي في الخمسينات تعجّ بالتيارات الفكرية الوافدة، وعلى رأسها الفكر الماركسي الاشتراكي والفكر الليبرالي الغربي، فتصدّى لها بكل ما تتطلبه المرحلة من اطلاع واسع معاصر على هذه التيارات، ومن قدرة على تقديم البديل الإسلامي بلغة العصر وعلى مستوى احتياجات العصر.

ظهر كتاب «فلسفتنا» سنة ١٩٥٩م وفيه كما يقول السيد الشهيد «مجموعة مفاهيمنا الأساسية عن العالم وطريقة التفكير فيه».

ثم ظهر «اقتصادنا» ليناقش المشروع الاقتصادي الماركسي والمشروع الاقتصادي الليبرالي الغربي، وليقدم في الجزء الثاني منه مشروع الاقتصاد الإسلامي.

والكتابان اشتهرا في العالم الإسلامي شهرة واسعة، وتُرجما إلى اللغات العالمية، وكان أثرهما في «التقريب بين المذاهب الإسلامية» يفوق تأثير أي مشروع آخر لأسباب أهمها:

أنه رفع نظرة المجتمع المسلم في عصره من التفكير في المسائل الصغيرة إلى التفكير في المشروع الإسلامي المتمثل بعودة الحياة الإسلامية. وهذا الارتفاع في النظرة له نتائجه في التعالي على الصغائر والخلافات الجانبية.

ولم يكتف الرجل بمخاطبة المتخصّصين عبر كتابيه المذكورين، فألف «المدرسة الإسلامية» لتكون سُلمًا لعامّة القراء للوصول إلى مستوى اقتصادنا وفلسفتنا يقول:

«وقد لاحظنا من البدء مدى التفاوت بين الفكر الإسلامي في مستواه العالي وواقع الفكر الذي نعيشه في بلادنا بوجه عام حتى يصعب على كثير مواكبة ذلك المستوى العالي إلا بشيء كثير من الجهد، فكان لابدّ من حلقات متوسطة يتدرج خلالها القارئ

إلى المستوى الأعلى ويستعين بها على تفهم ذلك المستوى الأعلى وهنا نشأت فكرة (المدرسة الإسلامية)».

وقد بلغ الذروة في مشاريعه العلمية التأسيسية بكتابه «الأسس المنطقية للاستقراء» وكانت ثمرته:

١ـ عدم اعتبار الدليل الفلسفي لعقمه، واستبداله بالدليل العلمي القائم على البرهان اليقيني والاستقراء المنطقي.

٢ - وكنتيجة للنقطة الأولى تم القضاء على مرجعية الدليل الفلسفي واحتكاره لمجال الاستدلال على قضايا العقيدة وإفرازاتها المباشرة وغير المباشرة.

٣ -اعتبار الدليل الاستقرائي وأسسه المنطقية مرجعًا رئيسيًا وضروريًا في عملية إنتاج المعرفة أو الاستدلال على مصداقيتها وموضوعيتها.

٤ -إحداث قطيعة تاريخية ومعرفية مع قرون من الجدل الفلسفي العقيم حول قضايا المعرفة بصفة عامة والمعرفة الصادرة عن الوحي بصفة خاصة، بعد أن تم التأكيد على أن طريق المعرفة اليقينية في مثل هذه القضايا يمر عبر نفس الاتجاه الذي تسير عبره الإنسانية شؤونها الحياتية وتنجز من خلاله منجزاتها العلمية والتكنولوجية وحضارتها المادية.

وبهذا يكون هذا الأصل التأسيسي قد وصل إلى قمة أهدافه بإحداث نقلة نوعية كبيرة بخصوص أخطر قضية تواجه الإنسانية

منذ وجودها، وهي مسألة إقامة الدليل على يقينية أو عدم يقينية المعرفة التي يحصل عليها الإنسان يوميًا. وعلى هذا تكون نظرية المعرفة قد اكتمل بنيانها.

وحين طُلب منه أن يكتب مشروعًا لبنك إسلامي لا يتعامل بالربا قدم كتاب «البنك اللاربوي في الإسلام» وفيه تبين إحاطة السيد الصدر بالجانب المالي والإداري من البنك إضافة إلى قدرته على تقديم مشروع إسلامي لبنك لا يتعاطى بالربا، وكان ذلك أساسًا لما أُنشئت بعد ذلك من بنوك إسلامية.

كتبه الفقهية والأصولية تبيّن اهتمامه بالتأصيل الفقهي لمشاريعه، كما توضح تبنّيه لقيادة علماء الدين. من تلك الكتب: «دروس في علم الأصول» و«بحوث في العروة الوثقى» و«تعليقه على منهاج الصالحين» و«غاية الفكر في الأصول».

ولقد نحا في دراساته الفقهية والأصولية منحىً مقاصديًا وجّه فيه هذه الدراسات نحو الواقع العملي، نائيًا بذلك عن البحوث النظرية العقيمة غير المنتجة.

وبمناسبة مرور ٢٩ عامًا على استشهاده على يد النظام الدموي البائد في العراق خصّصنا جانبًا من هذا العدد لإلقاء الضوء على شخصية هذا الرائد الكبير.

إحياء ذكرى الشهيد الصدر

إحياء لوحدة الأمة

في حياة البشرية صور تتجلى فيها روح إنسانية سمحة، وتعبّر عن قدرة الجماعة البشرية على تجاوز الذات والاقليم والقومية واللغة والطائفة والعشيرة، فنرى ثمة الحياة المفعمة بالتعاون والتعاضد والحبّ والوئام والسلام. وإذا رأيت في حياة هؤلاء حروبًا فهي لدرء الفتنة ومقاومة العدوان والدفاع عن القيم الإنسانية.

ولكن توجد الى جانب ذلك صور مؤلمة صنعتها الذات المستفحلة والروح العشائرية الملتهبة والانانيات الضيقة، ولاترى في ثناياها إلاّ الصراع والنزاع والتناطح وسفك الدماء وانتهاك الحرمات، والعدوان على الآخرين.

وعلى الصعيد الفردي أيضا نرى أفرادا يهمّهم تقريب وجهات النظر والتعالي على الصغائر وبثّ روح الألفة والمحبّة، وإقامة روابط الودّ، ونشر مفاهيم الخير والرحمة بين الناس، فلاترى في قائمة أعمالهم عدوانًا، ولا في سلوكهم استئثارًا، ولا في تعاملهم مع الآخر ذاتية وأنانية.

وعلى العكس من هؤلاء تجد أفراداً متحفزين الى المصارعة دائما. يبحثون باستمرار عمن يناطحونه، ويسعون باستمرار الى

تـأجيج نـار الفتنـة والخـلاف، ولا يـأتلفون مـع أحـد إلاّ إذا اقتضت مصالحهم الذاتية، وغالبًا ما يـأتلفون مـع مـن يشـكلون معـه شـقي مقص بهدف التفرقة.

مشـروع التقريـب بـين فصـائل المسـلمين يجـب أن يركـز علـى الصـور المشـرقة في حيـاة الجمـاعـات وعلـى التقـريبيين مـن الافـراد. فعمـل مثـل هـذا يقـدّم الأسـوة الحسـنة، ويعطـي دروسًـا في التعـايش السلمي والوئام بين الشعوب على أساس مـن حرمـة القيـم الانسـانية والعدالة وحرمة «الإنسان» وعزّته وكـرامته.

هـذا التركيـز يضـع المتلقـي في جـوّ الحيـاة الطبيعيـة للأفـراد والجماعـات، ويبـرز حالـة النشـاز في الصـراع والنـزاع. مـع تأكيـد علـى أن الحيـاة الطبيعيـة المسـالمة لا يمكـن أن تتحقـق إلاّ بـاقتلاع جذور الفتنة والعدوان. فالسلام لا يتحقق إلاّ بقمع أعداء السلام.

السيد الشـهيد محمـد بـاقر الصـدر خـاض كـل ميـادين تثبيـت عـزّة الإسـلام والمسـلمين في عالمنـا المعاصـر، بمـا في ذلـك توحيـد الصف الإسلامي والقضاء على كل ما يعيق المسيرة الإسلامية لأن تشـقّ طريقهـا في معـترك الصـراع الفكـري والحضـاري. فتميّـز بخطابه الإسلامي المترفّع عن الصغائر والخلافات الجانبيـة، وسـما في رحـاب الإسـلام الواسـعة، فكـان رائـدًا في كـل شـيء يخـدم القضية الإسلامية ومن ذلك ريادته في وحدة الصف الاسلامي.

والمطلـوب أن يتحـول هـو وأمثالـه الى رمـوز تعـيش في القلـوب والنفوس على المستوى الشعبي لا على مستوى النخبة فقـط، فـذلك مما يساهم أفضل مساهمة في تربية النفوس والعقول على الوحدة والتآلف والتعاضد والترفع عـن الصغائر والانطـلاق نحـو الأهـداف البعيـدة بـين أمتنـا الاسـلامية. وذلـك هـو السـبيل الوحيـد لخـروج العراق الجريح المحتل من محنته.

أصول المدرسة

الأخلاقية الصدرية

• فهم أخلاقية الشهيد الصدر زاد للأجيال • أشدّ الأزمات هي الأزمة الأخلاقية • الشهيد الصدر أشدّ تلامذة المدرسة الإمامية برًا بنهجها وبأساتذتها وبأهدافها • الإيمان هو الذي ينتج إرادة تلوي عنان الضعف والانهزام • الجهاد الأكبر هو الذي فجر في السيد الصدر طاقات الإبداع • النية الخالصة كانت حاضرة في كل حركات وسكنات الشهيد الصدر • أضربَ السيد وهو في العاشرة من عمره عن الطعام مكتفيًا بكسرة خبز، وبقي على هذا السلوك حتى آخر حياته • زهده كان من أجل ترويض الذات وتقديم الأسوة.

تقوم الحاجة إلى البحث في مدرسة الإمام الشهيد الصدر(رض) الأخلاقية على الدواعي والموجبات التالية:

١ – دراسة سيرة الشهيد الصدر(رض) دراسة شاملة تستوعب مفردات حياته وعطائه كلّها، ذلك أننا لا نجد في هذه الحياة وهذا العطاء شيئاً لغير الإسلام، وبالتالي فإن دراسة شخصيته من جوانبها كلّها سيساعد في فهم منهجه الذي ينبغي أن يكون زاداً للأجيال كلّها.

٢ -إن البعد الأخلاقي والتربوي هو خلاصة أبعاد

شخصيته(رض) الأخرى: العلمية والفكرية والعقائدية والفقهية والعملية، يقول الإمام الخميني(رض) مخاطبًا طلبة العلوم الدينية : «إنّ العلوم التي تدرسونها ليست في الواقع إلاّ مقدمة للحصول على مستوى خلقي رفيع».

٣ -إنّ التدهور الأخلاقي الذي شهدته بعض صفوف وصنوف الحوزة العلمية، والذي حرص الشهيد الصدر(رض) على معالجته من خلال تقديم المثال والنموذج، ما يزال يعاني العديد من المفارقات التي تستدعي أن يكون النموذج الصدري الحوزوي الأخلاقي مثلاً أمامه أبدًا.

٤ -إن حاجة الأمة اليوم، بل والإنسانية في كلّ مكان، إلى ما يصلح شأنها وكلّ فاسد من أمورها أكثر من ماسّة، وقد تعددت الأسباب في ذلك، لكن التشخيص يكاد يكون إجماعيًا أن الخلل الأساس هو في البنية التربوية، وأن أزمة الأزمات هي الأزمة الأخلاقية، وسيرة المرجع الصدر (رض) حريّة بأن تحتذى في تقديم النموذج المنقذ للإنسانية من وقوعها في وحل المادة.

٥ -إن حياة الصدر (رض) الأخلاقية لا تقتصر على جانب أخلاقي معين يمتاز به دون سواه من الخصائص والخصال الحميدة، بل هي منظومة أخلاقية متكاملة يشدّ بعضها أزر بعض، وهذا هو مكمن القوة في شخصيته التي حازت شرف مكارم الأخلاق كلّها بلا استثناء، مما يقتضي تسليط الضوء

كاشفًا ساطعًا على هذه الشخصية الجامعة للشمائل والفضائل الفذة الفريدة.

٦ -قد نجد في عالم العلماء – كما هو معروف ومألوف – عالمًا فقهيًا ، ومرجعًا أعلم، أما أن يجمع عالم فقيه علمًا جمًّا وفريدًا إلى جانب أخلاق جمّة وفريدة، فتلك صفة من الصفات النادرة التي تستحق الدرس عند الصدر أو عند أمثاله. فكما امتاز (رض) علمًا فذًا ، تميّز أخلاقًا فريدة، والجمع بينهما ليس يسيرًا ، الأمر الذي يجعلنا نفكّر بالشهيد الصدر على أنه من أشدّ تلامذة المدرسة الامامية برًّا بنهجها وبأساتذتها وبأهدافها. يقول الشهيد مطهري (رض) في (الإنسان الكامل): «إن معرفة الإنسان الكامل أو النموذجي في نظر الإسلام واجبة علينا نحن المسلمين، لأن الإنسان الكامل يكون بحكم المثال والقدوة وما ينبغي أن يُحتذى. فنحن إذا شئنا أن نكون مسلمين كاملين، والإسلام يريد صنع الإنسان الكامل، وإذا أردنا أن نصل إلى كمالنا الإنساني بالتربية علينا أن نعرف من هو الإنسان الكامل، وكيف هي ملامحه الروحية والمعنوية».

من خلال دراسة مستقصية للنصوص التربوية التي بثها الإمام الصدر(رض) هنا وهناك في تراثه الفكري، يمكن تلمّس ثلاثة أنواع من الوعي، أو ثلاثة أصول رئيسية تشكل المنهج الذي قامت عليه المدرسة الصدرية الأخلاقية، وهي:

١ . الوعي الذاتي.

٢. الوعي التاريخي.

٣. الوعي الميداني.

وحتى نضيء كلّ أصل من هذه الأصول، لابدّ أن ندخل إليها من أبوابها لنتعرّف – بشيء من التفصيل – على كلّ وعي، وكيف أسهم في صياغة منهج أخلاقي رائد يمكن أن يخرّج لنا أكثر من صدر، أو من هم أقرب إليه أو على شاكلته.

غير خاف أن استخدام مصطلح (وعي) هو للإشارة إلى أن السيد الشهيد (رض) توافر على ذلك كلّه ببصيرة نافذة وإدراك تام لمتطلّبات بناء شخصية إسلامية هادفة وملتزمة ونازعة إلى إمامة المتقين: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾.

١ – الوعي الذاتي:

وهو ما عبّر عنه السيد الشهيد(رض) في أكثر من موضع بـ«صياغة المحتوى الداخلي للإنسان» ولاشكّ أن هذا المحتوى هو حصيلة جملة عوامل متضافرة تلعب بالتعاون مع بعضها البعض في إنشاء المحتوى الإيماني الذي تعمر به نفس الإنسان المؤمن، والذي يمثل عمق العبادات لا شكلها الظاهري فقط، أو لنقل أنه روح العبادات لا طقوسها وشعائرها. فالمحتوى الداخلي الإيماني هو الذي يُنتج إرادة تلوي عنان الضعف والانهزام، ويحفّز الجوارح

للعبادة على طريقة:

فإذا حلّت الهدايةُ قلبًا   نشطت للعبادة الأعضاءُ

ويتجلّى هذا الوعي، عبر المخطط المرسوم ذاتيًا، من خلال النقاط أو المحطّات التالية:

أ: الإعداد الروحي:

لنأخذ في البداية هذا التعريف المهم للجانب الروحي في الشخصية الإسلامية، فهو «الصلة الداخلية للمؤمن بالله تعالى وانشداده النفسي والعاطفي به من حيث الإيمان والحب والإخلاص وما يرافق هذه المعاني الثلاثة الرئيسية من: خوف ورجاء وتواضع.. الخ. إن المضمون الداخلي المرتبط بالله تعالى هو الجانب الروحي، وهو الذي يشكل الأساس الذي يقوم صرح الشخصية الإسلامية بالكامل عليه، وتصدر عنه عناصرها الأخرى وسماتها وخصائصها المميزة» (حسين معن، الاعداد الروحي/ ٤٥).

ومن هذا التعريف يمكن أن نستلّ فهمنا للمحتوى الداخلي من أنه (فطرة سليمة) تتعاهدها (تزكية دائمة): ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ (الشمس/٩) ﴿سيذكّر من يخشى﴾ الأمر الذي يقودنا إلى فهم الصدر لها، حيث يقول: «فالنظرة الروحية في وجودها عبارة عن إدراك صلة الحياة والكون بالله وانبثاقها عن قدرته وتقديره، وبهذا المعنى يمكن أن نعتبر الكون بصورة عامة

روحيًا، لأن تلك الصلة بالمبدع الخلاق، صلة الخلق والإبداع، تشمل المادّة كما تشمل الروح، وتنفذ إلى سياستها جميع محتويات الكون وحقائقه. وليست هذه النظرة الروحية، التي تتمثل فيها الحقيقة الكبرى للكون نظرية مجردة، وإنما تتصل بالوجود العملي للإنسان كلّ الاتصال، وتحدّد له موقفه من عالمه الذي يعيشه، والحياة التي يحياها ويستمد الإنسان منها، أو على ضوئها، اتجاهه العام الذي ينعكس في كل نشاطاته وأفعاله» (رسالتنا/٤٢).

من هنا يمكن تفسير حركة الشهيد الصدر (رض) – في كلّ نشاطاته وأفعاله ومواقفه من عالمه وحياته واتجاهه العام – على أنها نابعة من نظرة روحية كونية تموّن تلك الحركة بالزخم الذي يجعلها دائمًا على طول الخط ربّانية.

ب: التسامي بالتوحيد

لا ريب أن للاعتقاد بالتوحيد منعكساته الأخلاقية والتربوية التي تدفع الإنسان إلى التسامي بحيث يصبح التوحيد محطّ نظره في كلّ خطوة يخطوها، أو قول يقوله، أو عمل يعمله، حتى ليمكن القول إن التوحيد ينتج لدى الموحّد منظومة أخلاقية منسجمة مع وحيه وهداه. يقول السيد الشهيد (رض) «إن فكرة التوحيد كلّما تجذّرت في النفس تحررّ الإنسان من الشهوات

والأغـلال الـتي عليـه، كمـا في الآيـة الكريمـة: ﴿ وَيَضَـعُ عَـنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالأَغْـلاَلَ الَّتِـي كَانَـتْ عَلَـيْهِمْ﴾ ولأجـل ذلـك كـان مـردّ فكـرة الحرية في الإسـلام إلى عقيـدة إيمانيـة موحـدة بـالله ويقـين ثابت على سيطرته على الكون،وكلّما تأصّل هذا اليقين في نفس المسـلم وتركـزت نظرتـه التوحيديـة إلى الله تسـامت نفسـه وتعمّـق إحساسـه بكرامتـه وحريتـه، وتصلّبت إرادتـه في مواجهـة الطغيـان والبغـي واسـتعباد الآخـرين: ﴿ وَالَّـذِينَ إِذَا أَصَـابَهُمُ الْبَغْـيُ هُـمْ يَنتَصِرُونَ﴾» (مجلة الفكر الجديد ، عدد ١١ و ١٢/ ص ٦١).

مـن هـذا الـنص يمكـن قـراءة أو تحليـل تحـرّر السـيد الشهيد(رض) من الشهوات، وشعوره بالانعتاق والحرية والكرامة. فحينمـا يحـتجّ عليـه الحـاكم الظـالم في مراسـلاته مـع الإمـام الخمـيني (رض) وتأييـده للثـورة الإسـلامية، أو حينمـا يـزور الإمـام حـين تقـرر السـلطة الباغيـة إبعـاده مـن العـراق في ظـروف خانقـة لا يجـرؤ أحـد علـى كسـرها، وحينمـا يقـيم مأتمـاً للشـهيد مطهـري(رض) في ظـروف أمنيـة وسياسـية لا تسـمح بـذلك، فإنـه يتحرّك بوحي مـن هـذه العقيـدة الـتي تصلّب إرادتـه بيقين راسـخ أن السيطرة على الكون لله وحده، فلا خوف ولا خشية ولا حساب إلاّ لَه: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ .

وقـد تـدعو بعـض الظـروف إلى التعامـل وفـق منطـق: انحـنِ للعاصفة حتـى تمـرّ، لكـن نطـاق الخـوف العـام إذا لم يختـرق أو

يكسر، فإنه يصبح حينئذ أمرًا واقعًا يصعب خرقه أو كسره، وبالتالي فإن موقف السيد الشهيد(رض) في تحدّي السلطة في الأجواء الخانقة، هو أشبه شيء بموقف الذي يتصدّق علنًا في أجواء الشحّ والأيادي المغلولة إلى العنق. إنّ صَدَقة العلن هنا تصبح خيرًا من صدقة السرّ لأنها تلعب دور المحفّز على العطاء.

ج – الجهاد الأكبر:

ومن هذا المنطلق الواسع والكبير، فإن النظرة التوحيدية الكونية لا تشكل ركيزة أساسية في المحتوى الداخلي للإنسان المؤمن مالم تنتقل من دائرة النظرية العقيدية إلى المجال الشعوري الذي يحيلها من مجرد قواعد، إلى حركة حياة نابضة، أي إطلاقها من مكمن القوة إلى مرحلة الفعل، ولا يتأتي ذلك إلا من خلال ما اصطلح عليه المربّي الإسلامي بـ(الجهاد الأكبر) وهو جهاد النفس حتى تكون مؤهلة لاستلام مهمة (الخلافة) في مستوى القاعدة، ومهمّة (الشهادة) في مستوى القيادة.

يقول السيد الشهيد(رض): «وقد استطاع الإسلام بعملية التحرير من الداخل وبتحقيق متطلبات الجهاد الاكبر، أن ينبّه في النفوس الخيّرة كلّ كوامن الخير والعطاء، ويفجّر فيها طاقات الإبداع على اختلاف انتماءاتها الطبقية في المجتمعات الجاهلية، فكان الغني يقف إلى جانب الفقير على خطّ المواجهة للظلم

والطغيان، وكان مستغل الأمس يندمج مع المستغل – بالفتح – في إطار ثوري واحد بعد أن يحقق الجهاد الاكبر فيه قِيَمَه». (الإسلام يقود الحياة/ ٢٩)

من هذا نفهم أن (الجهاد الأكبر) الذي مارسه السيد الشهيد(رض) مع ميدانه الأول (نفسه) نبّه في هذه النفس الخيّرة كلّ كوامن الخير والعطاء، وفجّر فيها طاقات الإبداع، التي لسنا بصدد الإشارة إليها أو الإشادة بها، فهي أوضح من أن تذكر.

بيد أن السيد الشهيد (رض) يحدّد لنا الإخلاص في صفاء النيّة التي يريد بها وجه الله في كلّ عمل يعمله أو قول يطلقه، حينما يقول(رض) في تحديد معالم العمل الصالح في القرآن: «فالإسلام يهتم بدوافع العمل لا بمنافعه، ويرى أنه يستمد قيمته من الدوافع لا من المنافع، فلا عمل إلاّ بنيّة، وما لم تتوفر النيّة الصالحة لا يكون العمل صالحًا، مهما كانت منافعه التي تنشأ عنه. إن الإسلام يريد أن يصنع الإنسان نفسه صنعًا إسلاميًا، فهو يتبنّى لأجل ذلك تربية هذا الإنسان ويستهدف قبل كلّ شيء تكوين محتواه الداخلي والروحي» (مجلة الأضواء، العدد ٣، ص ٢٠).

فإذا أردنا أن نعرف كيف طبّق الشهيد الصدر(رض) ذلك على نفسه، فإننا نقف على الإجابة من خلال بعض الدلائل التي تشير إلى أنه كان يستحضر النيّة الخالصة المخلصة في كلّ عمل يقوم

به. وبعبارة أدّق فإن النيّة الخالصة كانت حاضرة لديه في كلّ حركة وسكنة. فعندما دعا السيد (مير محمد القزويني) أحد علماء البصرة الاجلاء لمرجعية الشهيد الصدر (رض) في البصرة التمسة السيد الشهيد(رض) بعدم الدعوة لذلك. ويوم صدر كتابه القيم (اقتصادنا) غلّفت إحدى دور النشر في بيروت الكتاب بغلاف يحمل صورته ونبذة من حياته، فأمر السيد الشهيد (رض) أحد أقربائه أن يتفق مع الموزّع على نزع الغلاف قبل بيعه.

وعندما كتب (فلسفتنا) أراد طبعه باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقّه في وضع اسمه الشريف على هذا الكتاب، الاّ أن الذي منعه من ذلك أن جماعة العلماء أرادت إجراء بعض التعديلات في الكتاب المذكور، وكانت تلك التعديلات غير صحيحة في رأي السيد الشهيد(رض) فاضطرّ إلى أن يطبعه باسمه.

غير أن اللافت في الأمر هو تعليق السيد الشهيد (رض) على هذه الحادثة، بالقول: «حينما طبعت هذا الكتاب لم أكن أعرف أنه سيكون له هذا الصيت العظيم في العالم، والدويّ الكبير في المجتمعات البشرية مما يؤدي إلى اشتهار من ينسب إليه الكتاب. وكنت أفكّر أحيانًا فيما لو كنت مطلّعًا على ذلك وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلفه لدى الناس، فهل كنت مستعدًا لطبعه باسم جماعة العلماء وليس باسمي كما كنت مستعدًا لذلك أولاً؟

وأكاد أبكي خشية اني لو كنت مطلعًا على ذلك لم أكن مستعدًا لطبعه بغير اسمي»!!.

ولكن السؤال الأهم هنا هو: كيف استطاع السيد الشهيد(رض) أن ينكر ذاته لهذه الدرجة من الخلوص؟ وكيف تمكّن من الاندكاك بهدفه (مرضاة اللّه) كلّ هذا الاندكاك؟

إنه يختصر علينا الطريق في الإجابة على هذا السؤال حينما يقول: «ليس معنى ذلك ان يُمحى (حب الذات) من الطبيعة الإنسانية، بل إن العمل في سبيل تلك القيم والمثل هو تنفيذ كامل لإرادة حب الذات، فإن القيم بسبب التربية الدينية تصبح محبوبة للإنسان ويكون تحقيق المحبوب بنفسه معبّرًا عن لذة شخصية خاصة، فتفرض طبيعة حب الذات بذاتها السعي لأجل القيم الخلقية المحبوبة تحقيقًا للذة خاصة بذلك».

فَلَنا أن نتصور مدى سعادة السيد الشهيد (رض) وهو يعيش الذوبان التام بمحبوبه، حتى أنه كلّما بذل أكثر عاش السعادة أكثر وعاش القرب أكثر، وتلك لعمري لذة لا يعيشها الاّ الخلّص من المؤمنين الذين ذابوا في ذات اللّه فعظم في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم.

ومن بين مصاديق عبوديته المخلصة للّه زهده في هذه الحياة الدنيا. ولأجل أن نتعرّف على أثر الزهد في بناء أخلاقية الصدر، لابد أن نعرف كيف لعب الزهد في حياته دور التضامن مع عناصر أخلاقه الأخرى ليخلق هذه النفس المطمئنّة الكبيرة.

هذه أولاً إضاءات سريعة على زهده:

لم يملك منذ أن لمع نجمه في مدرسة النجف وحتى التقى ربه شهيدًا سوى ما يقتات به ليومه. فزواجه من ابنة عمّه كان من موقوفة خُصّصت لتزويج السادة، وأداؤه فريضة الحجّ كان بحقوق طباعة كتابه (فلسفتنا). ولعلنا نتلمّس خيوط أو خطوط زهده منذ بداياته الأولى، فلقد أضرب في العاشرة من عمره عن الطعام مكتفيًا بكسرة خبز ليثبت لأهله أنّه قادر على مواصلة حياته كلّها على هذه الشاكلة.. وهذا المشهد يتكرّر ليؤكّد أن السيد الشهيد (رض) كان قد اكتفى – كأستاذه علي(ع) – من طعمه بقرصيه.

فخادم السيد(رض) يدخل عليه – ذات يوم – فيراه يأكل خبزًا يابسًا، وكان ذلك في الظروف الاعتيادية. وفي ظروف المحنة والحصار ينقل مدير مكتبه (الشيخ النعماني) أنه عندما رآه يتناول الخبز اليابس أسف لذلك، مما دعا السيد الشهيد(رض) أن يقول له: «إنه أطيب طعام ذقته في حياتي لأن فيه رضا اللّه»!

هذه المشاهد الثلاثة تعني أنّ زهد الصبي (محمد باقر) وزهد المرجع (محمد باقر) زهد واحد، وإنما هي نفسه يروّضها، حتى إذا ضاق الخناق عليها لم تشعر به، بل تستشعر – على خلاف ذلك – لذة غير متصوّرة. فهناك من المسرّات الروحية التي كان الإمام الصدر يحياها بجهاده الأكبر مالا يقدر أحد على إحصائه أو وصفه.

لم يكن الزهد عند الشهيد الصدر(رض) شعارًا، أو مفارقة بين واقع داخلي يضرب الزهد عرض الجدار، وبين مظهر متقشف يشتري به ثمنًا قليلاً من إعجاب الناس وثنائهم، بل كان من جنس زهد علي(ع) «أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش». «الا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطُمرية ومن طُعمه بقُرصيه». «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانّها في غد جَدَث» (نهج البلاغة، من رسالته إلى عامله عثمان بن حنيف).

إنها تربية باتجاهين:

الأول: (الذات) لصهرها في بوتقة العشق لرضا الله ولما عند الله من الباقيات الصالحات، والانصراف عن الدنيا ومتعها الزائلة الحقيرة انصراف وعي وتأس وضرورات يفرضها الواقع الديني والاجتماعي.

الثاني: (الامة) لا سيما مفاصلها المتحركة: علماء وعاملين ليتأسّى بهم ضعفة الناس، فالكثير من طلبة العلوم الدينية – يومذاك – وهم الشريحة الألصق به، كانوا يعانون شظف العيش، فكان من أبلغ دروس التربية وأوقعها في النفس مواساتهم فيما هم فيه، وهذا ما نلاحظه في مقولاته المتكررة: كيف أصنع هذا وفي الطلبة من لا يملكون قوت يومهم؟!

(إلهي! كفى بك عظمة أن يكون السائرون على طريقك بهذه العظمة!!).

الشهيد الصدر

مشكلات الاجتهاد وآفاق المستقبل

●الشهيد الصدر يرى أن الاجتهاد يعاني من الانكماش ● لابدّ أن يأخذ الفقيه بنظر الاعتبار حالة الأمة بالحساب وليس حالة الفرد فحسب ●نرى الشهيد الصدر ملحًا على العامل الزماني لاقتضائه عنصر التجديد في الموضوعات ● إذا أردنا أن يستمر الاتجاه الموضوعي في البحث الفقهي لابد وأن نمدده أفقيًا على مستوى ما استجد من أبواب الحياة ● الهدف هو معالجة واقع مجتمع يريد الاحتفاظ بهويته وأصالته وانطباق حركته مع الإسلام ●القواعد النظرية الأساسية للأحكام الإسلامية تقدم رؤية شاملة أصبحت الحاجة إليها ملحة ● الشهيد الصّدر يتجه إلى تحرير الفقيه من قيود ذهنية تاريخية صارت بمرور الزمن تعوقه عن تلمس مهام جديدة ● لابدّ أن تعي الحوزة العلمية دورها وتعد كوادرها العلمية المتقدمة لمهام جديدة معقدة.

من المشكلات الكبيرة التي عانى منها الاجتهاد عند الإمامية، والتي ظهرت نتائجها لاحقًا مع تجربة التطبيق الإسلامي المعاصرة، انعزال عملية الاجتهاد عن مقاربة قضايا المجتمع والدولة بسبب عدم الحاجة العملية إليها على مدى زمني طويل بسبب سياسة العزل السياسي والطائفي للمدرسة الإمامية، والذي جعلها تتخلّى طوعًا عن الاهتمام بتلك الموضوعات لصالح التركيز على الموضوعات التي تهم الفرد في حركته العامة سواء في عباداته ومعاملاته وإيقاعاته لتتطابق مع أحكام الشريعة الإسلامية. وكان تمثل صورة الفرد لا هيئة المجتمع لدى أجيال الفقهاء أثره في تأثر نظرة الفقهاء إلى الشريعة، فتولد اتجاه ذهني عام ينظر إلى الشريعة في نطاق ما يحتاجه الفرد وليس ما يحتاجه المجتمع بأسره.

ويرى المرجع الشهيد الصدر أن الاجتهاد بات يعاني من أثر هذا العامل، وبالتالي فان التحول المؤمل من الاجتهاد نحو بناء النظريات غير ممكن إلا بتجاوز هذه الحالة، يقول الصّدر (وهذا الاتجاه الذهني لدى الفقيه، لم يؤد فقط إلى انكماش الفقه من الناحية الموضوعية، بل أدى إلى تسرب الفردية إلى نظرة الفقيه نحو الشريعة نفسها، فإن الفقيه بسبب ترسخ الجانب الفردي من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة في ذهنه، واعتياده على أن ينظر إلى الفرد ومشاكله، عكس موقفه هذا على نظرته إلى الشريعة

فاتخذت طابعًا فرديًا وأصبح ينظر إلى الشريعة ذاتها كأنها تعمل في حدود الهدف المنكمش الذي عمل له الفقيه فحسب، وهو الجانب الفردي من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة). (الاتجاهات المستقبلية).

الشهيد الصدر يرى أن الاجتهاد يعاني من الانكماش وهو عكس الانفتاح الواسع، كما أن المجتهد يعاني من النظرة الفردية، والواجب يقتضي أن يخرج الاجتهاد والمجتهد من هاتين المشكلتين لتتكامل مسيرة الفقه الإسلامي. ومن الطبيعي أن النظرة الفردية كانت ستترك أثارًا مهمة حتى على مستوى فهم النص في رأي الشهيد الكبير، فكان من شأن (ترسخ النظرة الفردية، قيام اتجاه عام في الذهنية الفقهية يحاول دائمًا حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الواقع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الإشكال.. وقد امتد أثر الانكماش وترسخ النظرة الفردية للشريعة إلى طريقة فهم النص الشرعي أيضًا، فمن ناحية أهملت في فهم النصوص شخصية النبي أو الإمام كحاكم ورئيس للدولة، فإذا ورد نهي عن النبي مثلاً كنهيه أهل المدينة عن منع فضل الماء، فهو إما نهي تحريم أو نهي كراهة عندهم، مع أنه قد لا يكون هذا ولا ذاك، بل قد يصدر النهي من النبي بوصفه رئيسًا للدولة، فلا يستفاد منه الحكم الشرعي العام. ومن ناحية أخرى لم تعالج النصوص بروح التطبيق على الواقع واتخاذ

قاعدة منه، ولهذا سوغ الكثير لأنفسهم أن يجزئوا الموضوع الواحد ويلتزموا بأحكام مختلفة له). (الاتجاهات المستقبلية)

وللخروج من هذه الحالة، كان لابد بحسب رؤية السيد الشهيد الصدر، أن يأخذ الفقيه بنظر الاعتبار حالة الأمة بالحساب وليس حالة الفرد فحسب، وأن يستوعب غايات التشريع ومقاصد الشريعة، وينفتح في الوقت نفسه على التجربة البشرية، كيما يتاح للفقه أن يمتد أفقيًا بعد أن امتد عموديًا على مستوى العمق والتحقيق، وأخذ يكرر نفسه في الموضوعات والعناوين الثابتة التي يبحثها الفقهاء خلفًا عن سلف. ونرى الشهيد الصدر ملحًا على العامل الزماني لاقتضائه عنصر التجديد في الموضوعات وتغييره للكثير من خواص الموضوعات والحالات السابقة ودفعه بالكثير من الإشكاليات الجديدة، فلكل مرحلة زمنية متطلباتها التي تفرض على الفقيه التعامل معها وإيجاد الحلول لها.

فلا يمكن الاقتصار على المسائل التي أفرزها واقع منتهٍ (ذاك الواقع الساكن المحدود الذي كان يعيشه الشيخ الطوسي، أو الذي كان يعيشه المحقق الحلي، ذاك الواقع كان يفي بحاجات عصر الشيخ الطوسي، كان يفي بحاجات عصر المحقق الحلي، لكن كم من باب وباب من أبواب الحياة فُتحت بالتدريج، لابد من عرض هذه الأبواب على الشريعة، إذا أردنا أن يستمر الاتجاه الموضوعي في البحث الفقهي لابد وأن نمدده أفقيًا على مستوى ما

استجد من أبواب الحياة). (المدرسة القرآنية).

إن أمنية الشهيد الصدر التي عبر عنها بضرورة الامتداد الأفقي للبحث الفقهي ليشمل أبواب الحياة الجديدة، تعني مطالبته بالخروج من حالة الفردية والانكماش السابقة إلى حالة التوسع والانفتاح على القضايا المجتمعية، لأن الهدف هو معالجة واقع مجتمع يريد الاحتفاظ بهويته وأصالته وانطباق حركته مع الإسلام بكل ما يعني ذلك من قوانين ونظريات عمل، ليمتلك القدرة على الحيوية والحركة في إطار المشروع الحضاري الإسلامي، ولا يكون مضطراً إلى الاستعارة والاستنساخ أو التوقف والجمود لعدم وجود النظرية أو القانون المنسجم مع رؤية الإسلام.

ويطالب الشهيد الصدّر هنا الفقهاء ببناء النظريات الإسلامية (لابد من أن يتوغل هذا الاتجاه الموضوعي في الفقه، لابد وأن يتوغل.. وأن ينفذ عموديًا وأن يصل إلى النظريات الأساسية، لابد وأن لا يكتفي بالبناءات العلوية، وبالتشريعات التفصيلية، لابد وأن ينفذ من خلال هذه البناءات العلوية إلى النظريات الأساسية التي تمثل وجهة نظر الإسلام، لأننا نعلم أن كل مجموعة من التشريعات في كل باب من أبواب الحياة ترتبط بنظريات أساسية).

إن التفكير ببناء النظرية مرتبط بالنظرة المستقبلية للتحديات

الحضـارية، لأن الـذي يـبني النظريـة يخطـط لمجتمـع ودولـة وفـرد يواجهـون مشـكلات هـذا التحـدي، أي إن الاجتهـاد مطالـب بـأن يعيد النظر في بنائـه المفهومي العـام ليطـرق مهمـات جديـدة ويحقـق أهدافًا ترتسم في أفق عالم هذه التحديات.

وحتى لا يقال إن هذا النوع من البحـث الفقهـي الـذي يطالـب بـه الشهيد الصّدر هـو خـارج وظـائف الفقيـه الـذي تتحصـر مهمامـه في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، فإنـه يؤكـد بعمـق النظـرة المستقبلية النافـذة. إن ذلـك ضـرورة مـن ضـرورات الفقـه في مرحلتـه الجديـدة. فالقواعـد النظريـة الأسـاسـية للأحكـام الإسـلامية تقـدم رؤية شاملة أصبحت الحاجة إليها ملحـة، وهـي مـن المهـام الجديـدة التي لا تنفصل عـن عمـل الفقيـه حيـث يقـول (لا ينبغـي أن ينظـر إلى ذلك بوصفه عمـلاً منفصـلاً عـن الفقـه، بوصـفه ترفًـا، بوصـفه نـوع تفـنّن، بوصـفه نـوع أدب، لـيس كـذلك، بـل هـذا ضـرورة مـن ضرورات الفقه، لابد من النفاذ، لابد من التوغل عموديًا أيضًـا إلى تلـك النظريـات، ومحاولـة اكتشـافها بقـدر الطاقـة البشـرية). (المدرسة القرآنية).

والملاحظ هنـا، أن الشـهيد الصّـدر يتجـه إلى تحريـر الفقيـه مـن قيـود ذهنيـة تاريخيـة صـارت بمـرور الـزمن تعوقـه عـن تلمـس مهـام جديـدة تعتـبر مـن صـلب اهتماماتـه. فالبحـث الفقهـي هـو المجـال الأصلح لإنتاج الآراء والنظريـات، وإذا لم يـؤد هـذه المهمـة، فإمـا أن

يحل محله الفقهاء الآخرون من غير أهل الدراية الفقهية العالية، أو يترك المجال مغلقًا لتحل الآراء الوافدة، وفي كلا الاحتمالين هناك خطر يتراءى. أما بالنسبة إلى تأثير العامل الذاتي على رؤية الفقيه في تعامله مع النصوص الشرعية، فإننا نجد الشهيد الصدر حريصًا على تحرير الفقيه من (خطر الذاتية) هذا بعد أن يفرد له اهتمامًا خاصًا، فهو يرى أن خطر الذاتية ينبع من أربعة أسباب ويقول: إن الخطر يشتد ويتفاقم (عندما تفصل بين الشخص الممارس والنصوص التي يمارسها فواصل تاريخية وواقعية كبيرة، وحين تكون تلك النصوص بصدد علاج قضايا يعيش الممارس واقعًا مخالفًا كل المخالفة لطريقة النصوص في علاج تلك القضايا، كالنصوص التشريعية والمفهومية المرتبطة بالجوانب الاجتماعية من حياة الإنسان، ولأجل هذا كان خطر الذاتية على عملية اكتشاف الاقتصاد الإسلامي أشد من خطرها على عملية الاجتهاد في أحكام فردية أخرى كالحكم بطهارة بول الطائر..) (اقتصادنا).

والأسباب الأربعة لخطر الذاتية كما يراها السيد الشهيد هي: (اقتصادنا):

١ – تبرير الواقع:

وهي المحاولة التي يندفع فيها الممارس بقصد أو بدون قصد إلى

تطوير النصوص وفهمها فهمًا خاصًا يبرر الواقع الفاسد الذي يعيشه الممارس ويعتبره ضرورة واقعة لا مناص عنها.. نظير قول القائل بان الإسلام يسمح بالفائدة (فائدة القرض) إذا لم تكن اضعافًا مضاعفة.

٢ – دمج النص ضمن إطار خاص:

وهي دراسة النص في إطار فكري غير إسلامي، وهذا الإطار قد يكون منبثقًا عن الواقع المعاش وقد لا يكون. فيحاول الممارس أن يفهم النص ضمن ذلك الإطار المعين فإذا وجده لا ينسجم مع إطاره الفكري أهمله.

٣ – تجريد الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه:

وهو عملية تمديد للدليل دون مبرر موضوعي، وهذه العملية كثيرًا ما ترتكب في نوع خاص من الأدلة الشرعية وهو (التقرير) ونعني به سكوت النبي أو الإمام عن عمل معين يقع على مرأى منه ومسمع سكوتًا يكشف عن سماحه به وجوازه في الإسلام.

٤ – اتخاذ موقف معين بصورة مسبقة تجاه النص:

وهو الاتجاه النفسي للباحث فإن للاتجاه أثره الكبير على عملية فهم النصوص فلنفترض شخصين يمارسان دراسة

النصوص، يتجه أحدهما نفسيًا إلى اكتشاف الجانب الاجتماعي وما يتصل بالدولة من أحكام الإسلام ومفاهيمه، بينما ينجذب الآخر لاتجاه نفسي نحو الأحكام التي تتصل بالسلوك الخاص للأفراد، فإن هذين الشخصين بالرغم من أنهما يباشران نصوصاً واحدة سوف يختلفان في المكاسب التي يخرجان بها من دراستهما لتلك النصوص.. وقد تنطمس أمام أحدهما معالم الجانب الإسلامي الذي لم يتجه إليه نفسيًا.

وهذا الموقف النفسي الذي تفترضه ذاتية الممارس لا موضوعية البحث لا يقتصر تأثيره على إخفاء بعض معالم التشريع، بل قد يؤدي أحيانًا إلى التضليل في فهم النص التشريعي، والخطأ في استنباط الحكم الشرعي منه.

وهذه العناصر الأربعة التي يراها السيد الشهيد منبع الخطر على ممارسة الفقيه لعملية الاجتهاد، وتحتاج إلى درجة عالية من الحيطة والحذر للتخلص منها، تظهر آثارها في الجوانب الاجتماعية والأحكام المتعلقة بالحكومة وإدارة الدولة، خاصة حينما تجد الحاجة فعليًا إلى تحديد الموقف الإسلامي أو بناء النظرية الإسلامية المطلوبة في مجال محدد.

واذا لم يكتسب الممارس خبرة وافية في فهم النص بشروطه الموضوعية وظروفه التاريخية والاجتماعية ومتطلبات الواقع المعاصر الذي لابد من أخذ حيثياته بالحسبان، فإن الحالة الذاتية

للفقيه ستنعكس سلبًا في اكتشاف الحكم الشرعي المناسب، وتدور حلقة هذه السلبية في مدى ما يستطيعه الإسلام من قدرات على إدارة الواقع المعقد الذي نعيش فيه، وعليه كان لابد من أن يحصل نوع من الإدراك المتجدد لوظيفة الاجتهاد في المرحلة الراهنة ومواصفات المجتهد حتى لا يحصل هناك مظهر من الجمود والتقليد ولا يظهر تيار من المجددين المنفتحين في قبال ذلك، فيما يتترس تيار المحافظين في مواقعه.

والمطلوب هو أن تعي الحوزة العلمية دورها وتعد كوادرها العلمية المتقدمة لمهام جديدة معقدة، وذلك ما يستدعي إعادة النظر في قضايا عديدة تساهم في ذلك، ونحس أن الشهيد الصدّر كان واعيًا لها وسباقًا إلى الحديث عنها، يظهر ذلك بوضوح في النصوص الآنفة، وعبَّر في نصوص أخرى عن آماله وتنبؤاته، وكأنه كان يقرأ احتياجات عصر جيله والأجيال اللاحقة رغم أنه كان يعيش في بيئة علمية محافظة ولا تستقبل النقد والتجديد إلا في حدود وببطء اشتكى منه هو شخصيًا في سلسلة محاضراته المطبوعة تحت عنوان (المحنة)، التي يبث فيها همومه عن العوائق التي تحول دون تطوير المناهج وتحريك الذهنية النافذة في الحوزة العلمية باتجاه وعي المنعكسات الحضارية والاستجابة لها وقراءة التحديات ومواجهتها بجدية وقد فعل حتى مضى شهيدًا.

المطالبة بالحرية وحقوق الإنسان في خطاب الشهيد الصدر

● الحرية الطبيعية منحة الله للإنسان، بينما الحرية الاجتماعية يمنحها النظام الاجتماعي ● يعتمد المذهب الرأسمالي على الحرية الاجتماعية الشكلية في تعامله مع أفراد المجتمع ● الحرية التي تعتبر شيئًا من كيان الإنسان: هي الحرية الطبيعة، لا الاجتماعية التي تمنح وتسلب تبعًا للمذهب الاجتماعي السائد ● تناول الإمام الشهيد الصدر في نداءاته الثلاثة التي وجهها للشعب العراقي وللعالم في رجب وشعبان ١٣٩٩هـ (حزيران – تموز ١٩٧٩) أمورًا عديدة تتعلق بحقوق الإنسان العراقي ● السيد الصدر: «أطالب باسم كرامة الإنسان بالإفراج عن المعتقلين بصورة تعسفية».

الحرية

يؤكد الإمام الشهيد الصدر مبدأ الحرية الذي بينته قواعد الإسلام وجسّده الرسول الأكرم محمد(ص) والأئمة(ع) والقادة الصالحين في احترام الحرية للمجتمع، وهذا ما تناولته مؤخرًا المدارس الرأسمالية والشيوعية من أن كل إنسان له الحق في التمتع بالحرية التي كسبها الفرد من الطبيعة.. ويعتبرها إحدى

المقومات الجوهرية للإنسانية، لأنها تعبير عن الطاقة الحيوية فيها.. ويميز السيد الصدر الحرية التي كسبها الفرد من الطبيعة (الحرية الطبيعية) عن تلك الحرية التي يكسبها الفرد من المجتمع والتي يسميها «الحرية الاجتماعية».(اقتصادنا) فالحرية الطبيعية منحة الله للإنسان، بينما الحرية الاجتماعية يمنحها النظام الاجتماعي، ويكفلها المجتمع لأفراده، وهي محل دراسة المذاهب الفكرية والأنظمة الاجتماعية، وعندها تظهر الاختلافات بين هذه المدارس... ويقسم السيد الصدر الحرية الاجتماعية إلى قسمين:

١ - **الحرية الاجتماعية الجوهرية**: وهي تمثل المحتوى الحقيقي للحرية الاجتماعية، وتعرف بأنها القدرة التي يكسبها الإنسان من المجتمع على القيام بفعل شيء معين. وتعني أن المجتمع يقوم بتوفير كل الوسائل والشروط اللازمة للفرد، لتمكينه من ممارسة دوره. مثلاً، يمكّن المجتمع كل أفراده من شراء السلع بتوفير المال اللازم لذلك له.

٢ - **الحرية الاجتماعية الشكلية**: وهي تمثل المحتوى الظاهري (الشكلي) للحرية. حيث لا يوفر المجتمع القدرة اللازمة للفرد بفعل شيء معين. كأن تكون السلع متوفرة، ولكن الافراد لا يملكون المال اللازم لشراءها، وبالتالي فإن هذه الحرية لا تكفل مطالب أفرادها، وقد تقود هذه الحالة إلى انسياق العديد من

أفراد المجتمع للسرقة والعداوة والخيانة وغيرها من الأعمال المضرة بالمجتمع.

ويعتمد المذهب الرأسمالي على الحرية الاجتماعية الشكلية في تعامله مع أفراد المجتمع، فهو لا يعني بالشكل المطلوب في توفير القدرة لدى الإنسان لشراء احتياجاته من السوق.. ويعتقد هذا المذهب بأن الحرية الاجتماعية الجوهرية، ما هي الا القدرة على الاستفادة من الحرية وليست هي الحرية نفسها، وأن الحرية التي يبتغيها هي الحرية الشكلية. وينطلق المذهب الرأسمالي في تفسيره لذلك، بأن وضع أفراد المجتمع في حلبة التنافس ينمي قدراتهم وإمكاناتهم، وبالتالي فإن الحرية الشكلية تساهم في تنشيط المجتمع لاكتساب الحرية الجوهرية، لانها تفسح المجال أمام كل فرد ليخوض المعترك السياسي والاقتصادي ويجرب مواهبه. أما إذا مُنح الفرد الحرية الجوهرية، بتقديم الضمانات الكافية لنجاحه في أي سبيل يسلكه، فذلك يضعف إلى مدى بعيد شعور الفرد بالمسؤولية، ولا يحرك فيه شعور النجاح واستثمار قدراته ومواهبه، لأن الحرية الجوهرية توفر له الضمانات اللازمة لذلك. أما الاشتراكية الماركسية فقد قضت على الحرية الشكلية وتبنت إقامة جهاز ديكتاتوري يتولى السلطة المطلقة في البلاد، وإن هذا الجهاز يضمن للمواطنين العمل والحقوق الأخرى.

ويعلق السيد الصدر على ذلك بقوله «أخذ كل من المذهبين

بجانب من الحرية، وطرح الجانب الآخر، ولم يُحلّ هذا التناقض المستقطب بين الحرية الشكلية والحرية الجوهرية، أو بين الشكل والجوهر.. إلا في الإسلام، الذي آمن بحاجة المجتمع إلى كلا اللونين من الحرية، فوفّر للمجتمع الحرية الجوهرية بوضع درجة معقولة من الضمان تسمح لجميع أفراد المجتمع الإسلامي بالحياة الكريمة، وممارسة متطلباتها الضرورية، ولم يعترف في حدود هذا الضمان بالحرية. وفي نفس الوقت لم يجعل من هذا الضمان مبررًا للقضاء على الحرية الشكلية، وهدر قيمتها الذاتية والموضوعية، بل فتح السبيل أمام كل فرد خارج حدود الضمان، ومنحه ما ينسجم مع مفاهيمه عن الكون والحياة، فالمرء مضمون بدرجة، وفي حدود خاصة» (اقتصادنا).

الحرية الطبيعية وليست الاجتماعية المختصة بكرامة الإنسان

كثيرًا ما يشاع في الأوساط المضادة، افتراءات على الإسلام، مفادها أن الدين عامة، والدين الإسلامي خاصة، إما أن يضيق دائرة الحرية للإنسان أو يعدمها أحيانًا. وفي هذا الصدد أورد السيد الصدر الفقرات التالية ردًا على هذه الافتراءات:

«إن الحرية جزء من كيان الإنسان، وإذا سلب الإنسان حريته فقد بذلك كرامته، ومعناه الإنساني الذي يتميز به عن سائر الكائنات، وهذا التعبير المهلهل لا ينطوي على تحليل علمي للقيمة

الذاتية للحرية، ولا يمكن أن يجذب سوى من يستهويه التلاعب بالألفاظ، لأن الإنسان يتميز كيانه الإنساني الخاص عن سائر الكائنات، بالحرية الطبيعية، بوصفه كائنًا طبيعيًا، لا بالحرية الاجتماعية باعتباره كائنًا اجتماعيًا، فالحرية التي تعتبر شيئًا من كيان الإنسان: هي الحرية الطبيعة، لا الاجتماعية التي تمنح وتسلب تبعًا للمذهب الاجتماعي السائد» (اقتصادنا).

«من وظيفة المذهب الاجتماعي أن يعترف بالنزعات والميول الأصيلة في الإنسان، ويضمن إشباعها، لكي يصبح مذهبًا واقعيًا ينسجم مع الطبيعة الإنسانية التي يعالجها ويشرّع لها فلا يمكن لمذهب إذن أن يكبت في الإنسان نزعته الأصيلة إلى الحرية» (اقتصادنا).

«وليس من المستساغ لكي يكون المذهب واقعيًا وانسانيًا، أن يعترف بإحدى تلك النزعات الأصيلة، ويضمن إشباعها إلى أقصى حد، على حساب النزعات الأخرى.

فالحرية مثلاً، ولو كانت نزعة أصيلة في الإنسان، لأنه يرفض بطبعه القسر والضغط والإكراه، لكن لهذا الإنسان حاجات جوهرية، وميول أصيلة أخرى. فهو بحاجة ماسة – مثلاً – إلى شيء من السكينة والاطمئنان في حياته، لأن القلق يرعبه، كما ينغصه الضغط والإكراه. فإذا فقد كل الضمانات التي يمكن للمجتمع أن يؤديها له في حياته ومعيشته، خسر بذلك حاجة

جوهرية أخرى، وهي حاجته إلى الحرية التي تعبر عن نزعة أصيلة في نفسه. فالتوفيق الدقيق الحكيم بين حاجة الإنسان الأصيلة الأخرى هو العملية التي يجب أن يؤديها المذهب للإنسانية إذا حاول أن يكون واقعيًا، قائمًا على أسس راسخة من الواقع الإنساني. وأما أن تطرح الميول والحاجات الأخرى جانبًا، ويضحّى بها لحساب حاجة أصيلة واحدة، كي يتوفر إشباعها إلى أبعد الحدود كما فعل المذهب الرأسمالي، فهذا يتعارض مع أبسط الواجبات المذهبية» (اقتصادنا).

«إن موقف الرأسمالية من الحرية والضمان، لئن كان خطأ فهو مع هذا ينسجم مع الإطار العام للتفكير الرأسمالي كل الانسجام. لأن الضمان ينطوي على فكرة تحديد حريات الأفراد والضغط عليها، ولا تستطيع الرأسمالية أن تجد لهذا الضغط والتحديد مسوغًا، على أساس مفاهيمها العامة عن الكون والإنسان» (اقتصادنا).

«وقد يستمد الضغط والتحديد مبرره من الإيمان بسلطة عليا، تملك حق تنظيم الإنسانية وتوجيهها في حياتها، ووضع الضمانات المحددة لحريات الأفراد – كما يعتقد الدين، إذ يرى أن للإنسان خالقًا حكيمًا من حقه أن يصنع له وجوده الاجتماعي، ويحدد طريقته للحياة».

المطالبة بحقوق الإنسان في العراق

تناول الإمام الشهيد الصدر في نداءاته الثلاثة التي وجهها للشعب العراقي وللعالم في رجب وشعبان ١٣٩٩هـ (حزيران – تموز ١٩٧٩) أمورًا عديدة تتعلق بحقوق الإنسان العراقي، حيث أكد على أنه يعمل على إرجاع حقوق الشعب المضطهد على يد حزب البعث الحاكم في العراق. وضمن استعراضنا لهذه المطالب نجد أنها تنسجم مع عدة من البنود الأساسية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨.

المادة الأولى والثانية من الإعلان العالمي: حول مساواة أبناء البشر في الكرامة والحقوق، دون تمييز من حيث القومية أو الجنس أو اللغة أو الدين.

السيد الصدر «**فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي.. بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء ومن أجل العربي والكردي على السواء**».

حيث يؤكد الصدر على أنه يدافع عن حقوقهم على السواء بغض النظر عن كونه سنيًا أو شيعيًا وعربيًا أو كرديًا أو تركمانيًا من دون تمييز طائفي أو قومي أو تمييز على أساس اللغة أو الأصل الأثني.

المادة الثالثة والرابعة والخامسة من الإعلان العالمي: حول حق الحياة والحرية وعدم الاستعباد والتعذيب والمعاملة الظالمة أو

المخالفة للإنسانية أو امتهان الإنسان.

الإمام الصدر يقول: «ألا ترون أنهم يمارسون أشد ألوان الظلم، والطغيان تجاه كل فئات الشعب؟... ويزدادون يومًا بعد يوم حقدًا على الشعب وتفننًا في امتهان كرامته والانفصال عنه والاعتصام ضده في قصورهم المحاطة بقوى الأمن والمخابرات».

حيث يوضح سياسة حزب البعث التي تعتمد على الاضطهاد والقمع، وهم يخافون الشعب الذي يضطهدونه، لأنهم لو لم يخافوا الشعب، لمنحوه حق الحرية وانتخاب حكومته.

المواد السادسة إلى الحادية عشر من الإعلان العالمي التي تهتم بالحقوق القانونية العادلة للفرد دون تمييز.

السيد الصدر: «أطالب باسم كرامة الإنسان بالإفراج عن المعتقلين بصورة تعسفية، وإيقاف الاعتقال الكيفي الذي يجرى بصورة منفصلة عن القضاء».

لأن النظام البعثي امتهن كرامة الإنسان العراقي بشكل تعسفي ومنعه من ممارسة حقوقه القانونية، بوجود محام حر يدافع عن حقوقه ووجود محاكم عادلة والقدرة على التمييز والاستئناف ضد الحكم الذي يصوغه نظام البعث كما يشتهي.

المادة (١٨) و(١٩) من الاعلان العالمي حول حق الحرية الدينية وإقامة المراسم الدينية. السيد الصدر: «أطالب باطلاق حرية الشعائر الدينية».

حيث قام النظام بمنع الشعارات الدينية الواعية التي تفضح ممارساته القمعية للجماهير.

المادة (٢٠) من الإعلان العالمي حول حق تشكيل الاجتماعات والجمعيات، وعدم إجبار أحد للاشتراك بها. السيد الصدر: «وقاموا بحملات الإكراه على الانتماء إلى حزبهم فصبرنا، وإذا كانت السلطة تريد أن تعرف الوجه الحقيقي للشعب العراقي فلتجمد أجهزتها القمعية أسبوعًا واحدًا فقط، ولتسمح للناس بأن يعبروا خلال أسبوع واحد كما يريدون».

«ألا ترون إلى احتكار هؤلاء السلطة احتكارًا عشائريًا يضفون عليه طابع الحزب زورًا وبهتانًا؟ وسد هؤلاء أبواب التقدم أمام كل جماهير الشعب سوى أولئك الذين رضوا لأنفسهم الذل والخضوع وباعوا كرامتهم وتحولوا إلى عبيد أذلاء، إن هؤلاء المتسلطين قد امتهنوا حتى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث عملوا من اجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تفرض الانضمام إليها والانتساب إليها بالقوة والإكراه. وإلا فأي حزب حقيقي يحترم نفسه في العالم يطالب الانتساب إليه بالقوة؟ إنهم أحسوا بالخوف حتى من الحزب نفسه الذي يدعون تمثيله، إنهم أحسوا بالخوف منه إذا بقي حزبًا حقيقيًا له قواعده التي تبينها، ولهذا أرادوا أن يداهموا قواعده بتحويله إلى تجمع يقوم على أساس الإكراه والتعذيب ليفقد أي مضمون حقيقي له».

و«أطالب بايقاف حملات الاكراه على الانتساب إلى حزب البعث على كل المستويات».

وضع الشهيد الصدر في هذه النصوص واقع حزب البعث وسلطة صدام التي ابتدأت بتصفية الكوادر البعثية غير الموالية لصدام ثم تصفية المعارضة العراقية بكل اصنافها من دون رادع أو خوف أو رجوع إلى أي قانون أو حق.

المادة (٢٩) من الاعلان العالمي حول تمتع الجماهير بالحقوق والحريات ضمن ضوابط أخلاقية صحيحة. يضيف السيد الصدر: «تململت الجماهير.. بعد ان قيدوها بسلاسل من الحديد ومن الرعب.. ولكن الجماهير دائمًا هي أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة، وقد تصبر ولكنها لا تستسلم. أطالب بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقه في توفير شؤون البلاد، وذلك عن طريق إجراء انتخاب حرّة ينبثق عنها مجلس حر يمثل الامة تمثيلاً صادقًا»

يؤمن الشهيد الصدر بأن الشعب يجب أن يمارس دوره في انتخابات حرة نزيهة ينتخب فيها حكومته التي يؤمن بها ويساندها.. ويؤكد هنا أن الطاغوت مهما مارس من قمع وظلم فإنه لا يستطيع البقاء في السلطة بينما تبقى الأنظمة التي تمثل الشعب في مواقعها من دون خوف من أحد.. إن الاضطهاد وسيلة الديكتاتورية والأنظمة الجائرة.. الأنظمة التي جاءت لتحكم

البلاد بقرار أجنبي... جاءت لكي تجعل الشعب وإمكاناته تخدم مآرب الاستكبار الذي يريد الحروب بين المسلمين أنفسهم من أجل إشغالهم في معارك وهمية تؤخرهم عن الركب الحضاري المتطور.. والذي يجعل قدرات الشعب والأمة بيده وبيد مخططاته التي تصب في نهاية المطاف لصالح الكيان الصهيوني وامتداداته بالمنطقة.

ثم إن الاستكبار يريد بسط يده في بيعه الأسلحة، إذ مع وجود أجواء سلام وأمن بين دول المنطقة لا يستطيع تسويق الأسلحة التي أصبحت قديمة مع ما يصنع من أسلحة متطورة وحديثة. ثم إن الشركات الكبرى لا يمكن أن تجد طريق بيع منتجاتها في الدول إلا من خلال تدخل الدول الكبرى لصالحها.

بما أن المنطقة تحتفظ بـ ٦٠٪ من المخزون النفطي العالمي فإن للاستكبار الأطماع الكبرى فيها.. فأجواء السلام تجعل دول المنطقة قادر على تعيين اسعار النفط ومنتجاته بما يخدم مصالحها، أما في أجواء الحروب والأزمات الاقتصادية التي تفرض عليها يصادر منها هذا الحق.

ولهذا ولغيره من العوامل.. فقد قيدت الجماهير بسلاسل من حديد.. فهي ممنوعة من الحرية والتعبير عن رأيها، وممنوعة من ممارسة دورها في الانتخاب والمحاسبة.. وممنوعة من اختيار طبيعة نظامها، وممنوعة من صياغة علاقاتها مع دول العالم بما يخدم مصالحها.

مميزات الدولة

في فكر الشهيد الصدر

● الشهيد الصدر يتناول مميزات الدولة الإسلامية من منظور يختلف عما تناولته من خلاله النظريات الوضعية ● الدولة الإسلامية لها غاية تتجه نحو تحقيقها، وكل مسيرة وحركة هادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من الهدف الذي تسير نحوه ●البناء الحضاري الجديد للمجتمعات المختلفة يستهدف «وضع أطر سليمة» هدفها تنمية الأمة وتعبئة طاقاتها وتحريك إمكاناتها للمعركة ضد التخلف ● القومية ليست سوى «رابطة تاريخية ولغوية» لا تمتلك فلسفة خاصة ذات مبادئ وعقيدة ترتكز إلى أسس معينة ● الدولة الإسلامية – في نظر الشهيد الصدر – تتميز بكونها جزءًا من مشروع حضاري إلهي .

تختص الدولة بمميزات تحدد موقعها إزاء غيرها من المنظمات والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكونها تمتلك سلطة الأمر والنهي والقدرة على الإلزام بما تمتلك من أدواته التي يمنحها الدستور استخدامها لفرض إرادتها على المحكومين ولو

بالإكراه لا يعني فقدان ما يماثل ذلك في غيرها من الكيانات، بل إن ظاهرة السلطة تكاد تكون موجودة في كل الفئات الاجتماعية، صغيرة أو كبيرة، بدائية أو متطورة. (القانون الدستوري، منذر الشاوي)

غير أن السلطة التي تتمتع بها الدولة تفترق عن غيرها من السلطات بأنها سلطة سياسية.

ويرى الفقه الدستوري الوضعي أن الحكام في الدولة (القابضين على السلطة) انسجامًا مع أحد الاتجاهين الفردي أو الاجتماعي اللذين مر ذكرهما آنفًا – لا بد أن يكونوا معبرين عن مصالح طبقات وفئات اجتماعية معينة، وأن هناك عناصر أخرى تميز الدولة، وهي بالإضافة إلى وحدة السلطة وما ينبثق عنها من وحد التشريع، ووحدة الإقليم، ووحدة الشعب.

إن وحدة السلطة تعني وجود سلطة واحدة (حاكمًا أو مجموعة حكام) تملك القهر وتحوز أكبر قوة مادية تمكنها من ضمان تنفيذ أوامرها ونواهيها من قبل المحكومين حتى لو اقتضى الأمر اللجوء إلى الإكراه، وذلك بما تمتلك من مؤسسات الشرطة والقوات المسلحة، وبما يسندها من قوة الإلزام في القانون، وكذلك فإنها سلطة سائدة، أي : إنها ذات قدرة على تنظيم نفسها وفرض أوامرها ونواهيها على جميع المحكومين وفي نطاق جميع أقاليمها من دون الخضوع في الداخل وفي الخارج لغيرها. أما

وحدة التشريع فتعني أن الحكام الذين يمسكون بزمام السلطة يصنعون قواعد ملزمة لجميع الأفراد والمقيمين على إقليمها.

كما ان لكل دولة إقليمها الذي يقطنه سكانها وتمارس عليه سلطتها ، ويشمل الإقليم، اليابسة وما في باطنها وكذلك الأنهار والبحيرات وما في باطنها بالإضافة إلى المياه الإقليمية وطبقات الجو التي تعلو هذه المساحة.

إن كل ذلك – وحسب الفقه الوضعي – يتطلب وحدة التركيب الاجتماعي في الدولة ومن ثم تجانس ووحدة المصالح المشتركة والأهداف العامة لمواطني الدولة. (م.ن)

ولا يهم الفكر الإسلامي صحة هذه العناصر فيما ذهب إليه الفكر الوضعي، وإن كنا ، إذا أردنا التطبيق، لوجدنا توافر هذه العناصر في الدولة الإسلامية ، مع إشارة سريعة إلى أن الشعب في دولة الإسلام يشمل المسلمين وغيرهم من الذميين (غير المسلمين) ما داموا يؤمنون بالانتماء السياسي إلى الدولة الإسلامية وإطارها العقائدي رغم انتسابهم دينيًا إلى أديان أخرى (الإسلام يقود الحياة) . وهذا خلاف ما ذكره بعض الكتّاب من أن الشعب في الدولة الإسلامية الأولى – يقصد : دولة رسول اللّه(ص) في المدينة المنورة – يشمل المسلمين فقط. (نظام الحكم في الإسلام، النبهان).

إن الامام الشهيد الصدر يتناول مميزات الدولة الإسلامية من

منظور يختلف عما تناولته من خلاله النظريات الوضعية، فهو يدرس الدولة الإسلامية من زاوية حقيقة كونها ضرورة شرعية وحضارية بما تحمل من معطيات حضارية عظيمة وقدرات هائلة، الأمر الذي يميزها عن أية تجربة اجتماعية أخرى.

ويوضح الشهيد الصدر هذه الحقيقة فيستعرض مميزات الدولة الإسلامية من خلال نقطتين رئيستين، هما:

١ – التركيب العقائدي للدولة الإسلامية.

٢ -التركيب العقائدي والنفسي للفرد المسلم المعاصر.

في النقطة الأولى يبحث (رحمه الله) وفي ثلاث فقرات:

١ –العلاقة بين التركيب العقائدي للدولة وهدف المسيرة.

٢ -أخلاقية التركيب العقائدي وتحرير الإنسان من الانشداد للدنيا.

٣ -المدلولات السياسية في التركيب العقائدي.

الدولة الإسلامية لها غاية تتجه نحو تحقيقها، وكل مسيرة وحركة هادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من الهدف الذي تسير نحوه، وتتحرك إلى تحقيقه، فالهدف هو وقود الحركة، وهو في نفس الوقت القوة التي تمتصها، فتتحول الحركة إلى سكون بتحقق الهدف» (م.ن).

ومن أجل أن لا تتوقف الحركة وتتحول إلى سكوت باستنفاد الهدف، ولضمان مواصلة سير التحرك الحضارية للإنسان، لا بد

أن يكون الهدف هو أنه كلما يقترب الإنسان منه يكتشف آفاقًا جديدة تزيد جذوته اتقادًا وحركته نشاطًا، «وهنا يأتي دور الدولة الإسلامية لتضع اللّه تعالى هدفًا للمسيرة الإنسانية، وتطرح صفات اللّه وأخلاقه كمعالم لهذا الهدف الكبير، فالعدل والعلم والقدرة والقوة والرحمة والجود تشكل بمجموعها هدف المسيرة للجماعة البشرية الصالحة، وكلما اقتربت خطوة نحو هذا الهدف وحققت شيئًا منه انفتحت أمامها آفاق أرحب وازدادت عزيمة وجذوة لمواصلة الطريق، لأن الإنسان المحدود لا يمكن أن يصل إلى اللّه المطلق، ولكن كلما توغل في الطريق إليه اهتدى إلى جديد وامتد به السبيل سعيا نحو المزيد» (م.ن).

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

«فالتركيب العقائدي للدولة الإسلامية الذي يقوم على أساس الإيمان باللّه وصفاته ويجعل من اللّه هدفًا للمسيرة وغاية للتحرك الحضاري الصالح على الأرض هو التركيب العقائدي الوحيد الذي يمدّ الحركة الحضارية للإنسان بوقود لا ينفد» (م.ن).

وتأسيسًا على ذلك، فإن الإسلام لا يقر تحويل الأهداف النسبية والمرحلية إلى هدف مطلق، لان من شأن ذلك أن يعيق الحركة عن الاستمرار.

إن الدولة الإسلامية لا تستنفد أهدافها لان كلمات اللّه لا تنفد:

قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ .

وفي الفقرة الثانية، يؤكد الشهيد الصدر الحاجة إلى الدوافع النابعة من الشعور بالمسؤولية لإقامة الحق والعدل وتحمل مشاق البناء الصالح، الأمر الذي يواجه دائمًا عقبة الانشداد إلى الدنيا وزينتها والتعلق بالحياة على هذه الأرض مهما كان شكلها، بحيث يعطل الإنسان عن مساهمته في عملية البناء الصالح. فلا بد إذن ولكي تجند طاقات كل فرد من تركيب عقائدي ذي أخلاقية خاصة تربي الفرد على أن يكون «سيدًا للدنيا لا عبدًا لها» في إطار الإيمان بأن هذه الحياة الدنيا ماهي إلا جسر وزرع للحياة الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

إن البناء الصالح الذي يريده الإسلام للفرد في دولته هو الذي يستطيع أن يحرر الإنسان من مغريات الأرض ويرتفع به إلى تحمل مسؤولياته إزاء الهموم الكبيرة دون الهموم الصغيرة التي تفصله عن الله تبارك وتعالى. (م.ن).

أما ما يتعلق بالمدلولات السياسية في التركيب العقائدي للدولة الإسلامية، فإن الشهيد الصدر يتحدث عن كونها تقوم بأدوار عظيمة في تنمية الطاقات الخيّرة كلها لدى الإنسان وتوظيفها

لخدمة الإنسان نفسه، ومن هذه المدلولات: استئصال كل علاقات الاستغلال التي تسود المجتمع الجاهلي وهذا يوفر طاقتين إحداهما طاقة المستغَل والأخرى طاقة المستغِل، وكذلك الوضع الواقعي الذي يعيشه الحاكمون في دولة الإسلام، باعتبارهم مواطنين اعتياديين في حياتهم الخاصة وسلوكهم وعلاقاتهم ومسكنهم مما يجسّد «القدوة الحقيقية والسلوة الروحية» لكل المستضعفين في الأرض، وكذلك التعامل على الساحة الدولية بعيدًا عن الاستغلال وامتصاص الشعوب الضعيفة كما هو شأن الحضارة الغربية وإنما على أساس الحق والعدل ونصرة المستضعفين في الأرض (م.ن).

وفي النقطة الثانية، يبحث الشهيد الصدر تركيب الفرد المسلم في واقعنا المعاصر، فيبين أن البناء الحضاري الجديد للمجتمعات المختلفة يستهدف «وضع أطر سليمة» هدفها تنمية الأمة وتعبئة طاقاتها وتحريك إمكاناتها للمعركة ضد التخلف «فحركة الأمة شرط أساسي لإنجاح أية عملية بناء حضاري جديد، وأية معركة شاملة ضد التخلّف، لان حركتها تعبير عن نموها ونمو إرادتها وانطلاق مواهبها الداخلية، وحيث لا تنمو الأمة لا يمكن لأي منهج أو صيغ محنطة أن تغير من الواقع شيئًا»(م.ن).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

ولأن الدولة الإسلامية تتخذ من الإسلام (الأطروحة الإلهية) أساسًا لعملية البناء وإطارًا لنظامها الاجتماعي، فهي الوحيدة القادرة على تقديم «مركب حضاري» قادر على تحريك الأمة وتعبئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف، وذلك من جملة النقاط:

١ – **الإيمان بالإسلام** : حيث أن الإيمان يعيش اليوم في الجزء الأعظم من المسلمين عقيدة باهتة بسبب عصور الانحراف والعمل الاستعماري الذي يستهدف تذويب هذه العقيدة وتفريغها من محتواها ، «ومن أجل ذلك لم يعد المسلمون تعبيرًا عن الأمة الإسلامية التي جعلها الله أمة وسطًا لتتولى الشهادة على العالم، وكانت خير امة أخرجت للناس». (م.ن).

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾.

فعلى المستوى الداخلي للأمة ثلاث خصائص: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وعلى المستوى الخارجي تتضح مسؤولية الأمة الإسلامية عن العالم كله بوصفها أمة وسطًا وشهيدة عليه.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ .

«فما لم يكن المسلمون على مستوى هاتين المسؤوليتين فلا أمة

إسلامية بالمعنى الصحيح، وما لم تتخذ العقيدة الإسلامية مركزها القيادي كأساس لممارسة هاتين المسؤوليتين في كل جوانب الحياة فلا رسالة إسلامية في واقع الحياة بالمعنى الصحيح»(م.ن).

ويبين الشهيد الصدر أن العقيدة الإسلامية حتى لو كانت باهتة فإنها تشكل عاملاً سلبيًا تجاه أي إطار حضاري أو نظام اجتماعي لا ينبثق فكريًا وأيديولوجيًا من الإسلام. مما يشكل موقفا رافضا لكل عمليات التحريك الحضاري التي تمارسها الأنظمة والمذاهب غير الإسلامية لدى تسلّمها السلطة وقيادة المجتمع. الأمر الذي يضطرها إلى ممارسة الإكراهية (القمعية) وبذلك تزداد قناعة الأمة بعدم شرعيتها، وتكون نتيجة ذلك أن تتبدد طاقات الأمة على اتجاهين: ما يبدد من طاقات في عمليات الإكراه وما يكون من عمليات «رد الفعل الصامت» وما تستوجبه من جهد ومقاومة (م.ن).

بيد أن الأمر يختلف في الدولة الإسلامية التي تحمل أطروحتها أمة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ومؤمنة بالله سبحانه وتعالى، فما تلبث العقيدة الباهتة أن تتحول من عامل سلبي إلى عامل إيجابي في عملية البناء الحضاري الجديد. إن الدولة الإسلامية بقيادتها تضع كذلك حدًا لمأساة الانشطار والتجزئة في كيان الفرد المسلم والتي تفرض عليه ولاءات متعارضة فتعيد إليه وحدته

الحقيقة وانسجامه الكامل، بحيث يؤدي به ذلك إلى الإخلاص والصبر (م.ن).

٢ - **وضوح التجربة والارتباط العاطفي بتاريخها:** اذ تقدم الدعوة إلى البناء مثالا واقعيًا يشكل أهم دافع للإنسان إلى البذل والعطاء، وهذا المثال يندمج مع أعمق مشاعره وعواطفه، ويستمد وجوده من أشرف مراحل تاريخه وأنقاها. فالدولة الإسلامية لا تسير بالناس في الظلام وإنما في النور. قال تعالى: ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ وهذا ما يدفع الفرد المسلم في إطار التعبئة الحضارية الإسلامية أن يكون مطمئنًا إلى طريقه، واثقًا بهدفه، قادرًا على تمييز السلامة أو الانحراف في المسير، لامتلاكه بالمثل الأعلى «المقياس الموضوعي» لذلك، مما يؤدي إلى تهيؤ «الجو النفسي في هذا السبيل، لا بوصفه آلة تسير وفقًا للخطة، بل بوصفه واعيًا على الخطة، مدركًا معالمها ومثلها الأعلى في واقع الحياة» (م.ن).

٣ -**نظافة التجربة وعدم ارتباطها بالمستعمرين:** فمعاناة الأمة الإسلامية المريرة من الاستعمار ولدت لديها شعورًا نفسيا خاصًا تجاهه يتسم بالانكماش والقلق والحساسية، وكذلك إزاء الأنظمة المستمدة من أوضاعه الاجتماعية.

وإذا كان عدد من التكتلات السياسية في العالم الإسلامي قد اتخذ (القومية) فلسفة وقاعدة للحضارة وأساسا للتنظيم

الاجتماعي وقدم شعاراته الثورية المنفصلة عن الكيان الفكري للاستعمار، فإن القومية ليست سوى «رابطة تاريخية ولغوية» لا تمتلك فلسفة خاصة ذات مبادئ وعقيدة ترتكز إلى أسس معينة، وبذلك فإنها تكون محتاجة إلى الأخذ بوجهة نظر معينة تجاه الكون والحياة، وفلسفة خاصة تصوغ على أساسها معالم حضارتها ونهضتها وتنظيمها الاجتماعي. أما المنهج الإسلامي فإنه يتمتع بنظافة مطلقة من هذه الناحية، لأنه لا يرتبط في ذهن الأمة بتاريخ أعدائها، بل بتاريخ أمجادها الذاتية، ويعبّر عن أصالتها، بحيث يولّد شعورًا لدى الأمة يعتبر عاملاً ضخمًا لانفتاحها على عملية البناء الحضاري التي تقوم على أساس الإسلام. إن عملية البناء لن تبدأ من الصفر لأنها ليست غريبة عن الأمة، وإنما لها جذور تاريخية ونفسية ومرتكزات فكرية. (م.ن)

٤ -**امتصاص المحافظين لحركة البناء الجديد:** إن من المحتّم أن تصطدم حركة التجديد بالأعراف والتقاليد والأخلاق والسنن الاجتماعية السائدة التي اكتسبت بمرور الزمن درجة من التقديس الديني، ولكي يواجه التجديد التوتر النفسي الحاصل كرد فعل على عملية التغيير فسيكون بين خيارين: فإما أن يحاول استئصال الجذور النفسية لهذا التحفز الرافض باقتلاع العقيدة الدينية التي تعتبر أساسًا تقليديًا لمشاعر المحافظة والتمسك بالتقاليد، وإما أن يحاول فصل الدين عن هذه التقاليد وتوعية الجماهير على حقيقة الدين ودوره في الحياة، وبديهي أن

الخيار الأول يحل المشكلة بل سيسفر عن وجه عدائي صريح تجاه الدين، بينما الخيار الثاني لا يكون عمليًا بالنسبة إلى حركة التجديد القائمة على أسس علمانية. ولكن حركة التجديد القائمة على أساس الإسلام والمرتبطة بمصادره الحقيقية في الأمة والمسنودة من خلال الدولة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر والمؤمنة بالله، هذه الحركة قادرة على امتصاص الجزء الأعظم من المحافظين لمصلحة البناء والتجديد، وذلك من خلال إدراكها العميق للإسلام ووعيها الثوري عليه بما يمكنها من القدرة على إقناع الامة والمحافظين فيها بالتفسير الصحيح للاسلام وفصله عن الأوضاع المتخلفة. (م.ن).

٥ -**التطلع إلى السماء ودوره في البناء:** فعلى خلاف الإنسان الأوربي المتطلع إلى الارض، يتطلع الإنسان الشرقي إلى الغيب والسماء، حيث أن أخلاقية الاثنين تختلفان فيما بينهما كنتيجة للتاريخ الديني. وبسبب هذه الغيبية العميقة لدى الإنسان الشرقي المسلم فإن الفكر لديه يتجه إلى المناحي العقلية من المعرفة البشرية دون المناحي المرتبطة بالواقع المحسوس، مما يحدّ من قوة إغراء المادة لديه، بحيث يتجه اتجاهًا سلبيًا في موقفه من المادة عندما يتجرد عن الدوافع المعنوية، فيتخذ واحدًا من ثلاثة مواقف إما الزهد، أو القناعة، أو الكسل.

وهذا بطبيعة الحال ناتج عن انفصال الأرض عن السماء «أما إذا البست الأرض إطار السماء، وأعطي العمل مع الطبيعة صفة

الواجب ومفهوم العبادة» فإن النظرة الغيبية ستتحول إلى طاقة محركة وقوة دافعة. إن ذلك هو ما تصنعه الدولة الإسلامية عندما تعطي للإنسان المعنى الصحيح للسماء، وتضفي صفة الشرعية والواجب على العمل في الأرض كمظهر من مظاهر خلافة الله على الأرض. (م.ن).

إن ما نستنتجه مما عرضه الشهيد الصدر هو أن الدولة الإسلامية – في نظره – تتميز بكونها جزءًا من مشروع حضاري إلهي، وهذا الجزء هو ضرورة حضارية كما هو ضرورة شرعية، وذو تركيبة عقائدية تحدد في مسيرتها الواعية هدفها وهو الله تعالى، فلا تستنفد أهدافها لأن كلمات الله لا تنفد ولأن السير نحو المطلق لا ينقطع، وذلك ضمن أخلاقية تعمل على تحرير الإنسان من الانشداد إلى الدنيا، وتحمل مدلولات سياسية تقوم بأعظم الأدوار في تنمية الطاقات الخيرة التي تفجرها في الإنسان، وتدفع بالأمة لتأخذ موقعها الريادي في تحمل مسؤولياتها على صعيدي الداخل والخارج، ضمن عملية البناء الحضاري، وكل ذلك من خلال موازنة دقيقة فيما بين عالمي الغيب والشهادة، وفيما بين المجتمع والفرد، من دون إفراط أو تفريط.

القسم الثامن : الذنوب تورث القلق

سيد هاشم الرسولي المحلاتي*

● كل إنسان يطلب السعادة ولكن الكائن البشري لا يستطيع أن يبلغ ما يصبو إليه دون هداية الأنبياء. ● الماديات لا تروي عطش الإنسان للسعادة ولا تحقق هدفه الملتهب في نفسه ● رَفَضَ الإسلام الرهبانية وطلب من الإنسان المسلم أن يعيش في خضم الحياة الاجتماعية، ولكن ليقود الأحداث ويسيطر على مسيرة الحياة، لا أن ينقاد ويخضع للشهوات والمغريات المادية ● لا يمكن أن تتحقق النفس المطمئنة في وجود الإنسان إلا في ظل الإيمان بالله والاستسلام المطلق له سبحانه.

كلنا يطلب السعادة

كل انسان يسعى للوصول إلى هدف يجد فيه مبتغاه: ويحقق عنده مآربه، وتطمئن إليه نفسه، ويرتاح فيه باله، ويسمى هذا الهدف «السعادة».

* - عالم دين إيراني.

ومع أن الاتجاه إلى هذا الهدف نزعة فطرية في الإنسان، إلا أنه لا يستطيع - بغير هداية الأنبياء – أن يسلك الطريق الذي يوصله إلى هذا الهدف.

وفي عالمنا اليوم –حيث تطورت العلوم والفنون وبلغت التجارب البشرية مرحلة متطورة جدًا من تقدمها –لم يتوصل العلماء والمفكرون إلى تحديد واضح لمفهوم السعادة ولسبيل تحقيقها، حتى أن أحد علماء الغرب نقل ٢٨٨ رأيًا في السعادة وفي سبيل تحقيقها بينها اختلاف كبير.

سلكت المجموعات البشرية على مرّ التاريخ سبلاً شتى للوصول إلى هذه الغاية المنشودة... بعضها سلك طريق الثروة ظانًا أنها السبيل، وبعضها انغمس في ملذات الجنس ليجد فيها مبتغاة، وثمة مجموعات أدركت عقم السبل المادية في الوصول إلى السعادة، فسلكت سبلا معنوية، وكانت أقرب إلى خط الأنبياء، غير انها لم تهتد السبيل بفكرها وعقلها كما ينبغي، إذ أن العقل البشري قاصر عن فهم كل أبعاد الطريق، والطبيعة الإنسانية تدفع حتى بالسالكين سبل المعنويات إلى الإفراط والتفريط إن لم يكن لها من الدين الإلهي هاد ومرشد، والمرتاضون نموذج من هذا الانحراف.

ماديات الحياة لا تحقق السعادة

هذه حقيقة تجربية، فهمها كل السائرين على طريق الماديات..

على طريق الاستزادة من الثروة.. وعلى طريق الاستزادة من اللذات الجنسية.. وعلى طريق الشهرة والمنصب والمقام. فللماديات بريق يخال الإنسان أنها تحقق سعادته، وما إن يصلها حتى تتبدد أحلامه ويجد ما وصل إليه سرابًا، وما أجمل التعبير القرآني في هذا المجال حيث يقول:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾. (النور/٣٩ -٤٠).

ومن هنا اتجهت التربية الإسلامية إلى تحرير الإنسان من الانشداد إلى الماديات، والى النهي عن اتخاذ اللذائذ المادية هدفًا وعن اعتبارها هي السعادة المنشودة.

روي عن رسول الله(ص) أنه قال:

«الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن».

وقال علي(ع): «المال داعية التعب ومطية النصب».

وقال أيضا: «المال للفتن سبب وللحوادث سلب».

ويقول الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع): «من تعلق قلبه بالدنيا

تعلق منها بثلاث خصال: هم لا يفنى، وأمل لا يُدرك، ورجاء لايُنال».

وحذر المعصومون من الانخداع ببريق اللذائذ المادية ووهجها، فقال علي (ع):

«إنما مثل الدنيا كمثل الحية، ما ألين مسّها وفي جوفها السم الناقع، يحذرها الرجل العاقل ويهوي إليها الصبي الجاهل».

وقال الإمام الصادق(ع): «مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشًا حتى يقتله».

وكما ذكرنا فإن الحقيقة التي تذكرها هذه النصوص تجريبية مشهودة على مر التاريخ وفي عصرنا الراهن، وإليك الآن أسبابها:

السبب الأول

من يبتغ سعادته في مال الدنيا ومتاعها يشب في نفسه حرص الاستزادة من هذا المال والمتاع، فلا يشبع ولا يستقر، بل يعيش في قلق واضطراب. من هنا قال الصادق(ع):

«جُعل الخير كله في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا».

وروي عن رسول اللّه(ص) انه قال: «الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن».

وعن أمير المؤمنين علي(ع) قال: «ثمرة الزهد الراحة».

وما أجمل التشبيه في حديث الامام الباقر(ع) حيث يقول: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان باعَدَ لها من الخروج حتى تموت غماً».

وفي نصائح لقمان لابنه جاء:

«... ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر».

كل هذه الروايات تشير إلى حالة الحرص والطمع التي تستفحل في وجود الإنسان حين ينغمس في الماديات، فتسلب منه الراحة وتحول حياته إلى جهنم، إن قيل لها هل امتلأت تقول: هل من مزيد؟!

السبب الثاني

إن مال الدنيا ومتاعها زائل متغير، لذلك فالمتعلقون بالدنيا مهددون دائمًا بزوال ما تعلقت قلوبهم به، وهو سبب آخر في اضطرابهم وقلقهم، من هنا أكدت النصوص الدينية على عامل زوال اللذات المادية لتنبيه الإنسان وتوعيته وإبعاده عن الركون إلى الدنيا.

قال الإمام الصادق(ع): «من كثر اشتباكه بالدنيا كان أشد لحسرته عند فراقها».

وقال علي(ع): «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما فيها حتى أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى...»؟!

ويجلس أمير المؤمنين(ع) ليخصف نعله فيدخل عليه ابن عباس فيستغرب مما يفعل علي وهو حاكم ملايين المسلمين آنذاك. فيدور بينهما حديث ثم يشير علي إلى نعليه المزقتين ويقول: «والله لهما أحبّ اليّ من إمرتكم هذه إلاّ أن أقيم حقًا أو أدفع باطلاً».

ويقف علي(ع) مع أصحابه أمام المقابر فيخاطب الموتى انطلاقًا من الهدف المذكور في التوعية والتنبيه فيقول:

«يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق. أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكحت، وأما الأموال فقد قُسمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: «أما لو أُذن لهم في الكلام لاخبروكم أن خير الزاد التقوى».

وفي القرآن الكريم قصة عن التقاء موسى: ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف/ ٦٥)، وهذا الشخص هو الخضر عليه السلام كما جاء في التفاسير،

فيواجهان احداثًا يتخذ منها الخضر مواقف خاصة تثير استغراب واستنكار موسى. وكان من ذلك أن الخضر وجد جدارًا يشرف على السقوط فأقامه وأصلحه، فأثار ذلك استغراب موسى وقال له: ﴿لو شئت لتّخذت عليه أجرا﴾ (الكهف/ ٧٧). وهنا بدأ الخضر يفسر لموسى كل تلك المشاهدات، وبشأن الجدار قال له: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا....﴾ (الكهف/ ٨٣).

الإمام الصادق(ع) فسر الكنز المذكور في الآية بما فيه العبرة والعظة بشأن زوال الدنيا، فروي عنه(ع) أن الكنز كان يضم لوحة ذهبية كتب عليها: «عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ عجب لمن أيقن بالقَدَر كيف يحزن؟ عجب لمن أيقن أن البعث حق كيف يظلم؟ عجب لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالا بعد حال كيف يطمئن إليها».

وروي عن الإمام الصادق(ع) أيضا: «أن عيسى – عليه السلام – رأى الدنيا بهيئة امرأة زرقاء العينين فقال لها: كم تزوجت؟

فقالت: كثيرا.

قال لها: فكلّ طلقكِ؟

قالت: لا بل كلاّ قتلتُ!

قال: فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين؟!»

وقال الصادق أيضا لرجل يعظه: «إن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة إليها لماذا؟».

كل هذه النصوص تركز على حقيقة زوال نعم الدنيا، كي لا يركن الناس إليها ثم يظلون بعد ذلك قلقين خشية زوال هذه النعم.

السبب الثالث

من أسباب القلق وعدم اطمئنان المتهافتين على الدنيا هو أن اللاهثين وراء المال والمتاع والشهرة وسائر الذائد المعنوية لا ينالون مبتغاهم غالبًا إلا بهضم حقوق الآخرين والصعود على أكتفاهم وامتصاص دمائهم، وهذا بالطبع يؤدي من جهة إلى ألوان من الصراع والعداوات والفتن التي تسلب الراحة من الجميع، إضافة إلى أن هذه المظالم تشكل وخزًا في ضمير مرتكبيها، فيعود عليهم الضمير باللوم والتأنيب من جهة أخرى.

كل ما نشاهده على الساحة العالمية من حروب ونزاعات دموية وجرائم إنما يعود إلى هذا الانشداد بالدنيا ومتاعها.

ولذلك روي عن رسول الله(ص) قوله: «حب الدنيا رأس كل خطيئة ومفتاح كل سيئة».

وقال علي(ع): «أيها الناس إياكم وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة، وباب كل سيئة، وقران كل فتنة، وداعي كل رزية».

وقال أيضا في وصية لابنه الحسن(ع): «وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها... فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرُّ بعضها بعضًا، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها».

وروى الزهري عن الإمام علي بن الحسين(ع) قال: «ما من عمل بعد معرفة الله جل وعز ومعرفة رسوله (ص) أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك لشُعبًا كثيرة وللمعاصي شُعبًا...».

ثم تحدث الإمام عن شُعب المعاصي فقال: «فتشعّب من ذلك: حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، والثروة فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة».

لقد استطاع الإسلام بهذا اللون من التربية أن يخلق جيلا صالحًا مترفعًا عن الانشدادات البهيمية إلى المال والمتاع، متحررًا من القيود التي تكبل الروح الإنسانية، متعاليًا على الغرائز المادية التي تدفع الإنسان لأن يعيش بين المعلف والمضجع.. وهذا الجيل الصالح سجّل في صدر الإسلام أروع صور التضحية والفداء من أجل الحق والعدل، وأجمل المواقف في تاريخ الإنسانية. ولو قُدّر لهذه التجربة الإسلامية الرائدة أن تستمر في الإطار الذي رسمه الإسلام وبتوجيه مدرسة أهل البيت عليهم الإسلام لتغير مسيرة

تاريخ البشرية، ولما واجهت الإنسانية كل هذه المصائب والآلام، ولما ظهرت في التاريخ الإسلامي تلك الصور المؤلمة التي يندى لها الجبين.

بعد انحراف المسيرة الإسلامية عن خطها النبوي ظهرت في الساحة مآس يقشعر لها جسم الإنسان، ناتجة كلها عن انحدار الحكام والمتسلطين على مقدرات المسلمين إلى مستنقع ذاتياتهم وشهواتهم وانشداداتهم الدنيوية، فقدموا على مذبح شهواتهم آلاف الضحايا من الأبرياء وطلاب الحق وعشاق الرسالة، وإن ما كتبه التاريخ عن الحكام الأمويين والعباسيين وولاتهم في الأمصار والأقطار ليدل بوضوح على غياب الإسلام عن الجهاز الحاكم، وعلى انتكاس هؤلاء الحكام في حبّ الدنيا وفي الآثام المترتبة على الارتكاس في حمأة الشهوات المادية.

لارهبانية في الإسلام

مرّ بنا أن الإسلام يحث على الابتعاد عن حب الدنيا، ويحث على عدم الركون والاطمئنان إليها.

وهذه طائفة أخرى من النصوص بهذا الشأن:

عن أمير المؤمنين علي(ع): «إنك لا تلقى اللّه سبحانه بعمل أضرّ عليكم من حب الدنيا».

وفي الحديث القدسي إن اللّه سبحانه خاطب موسى فقال:

«واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تغبط أحدًا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب».

ويقول علي(ع) أيضا : «من ذمامة الدنيا عند الله سبحانه أن لا يُنال ما عنده إلا بتركها».

وثمة روايات تؤكد أن حب الدنيا والآخرة متضادان، لا يجتمعان في قلب واحد.

روي عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحدة».

«مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى».

وعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) أنه قال:

«والله ما الدنيا والآخرة إلا ككفتي الميزان فأيهما رجح ذهب الآخر».

وإزاء هذه الروايات التي تحث على الابتعاد عن التعلق بالدنيا ، ثمة روايات تحث على الاستفادة من الدنيا ، واستثمارها ، وطلب خيراتها ، والعمل على طلب الرزق فيها ، من ذلك:

روي عن رسول الله(ص) أنه قال: «ملعون من ألقى كَلّه على الناس».

وهذا يعني الحث على الاعتماد على النفس في المعيشة وعدم التكاسل عن طلب الرزق.

وقال(ص) أيضا: «العبادة سبعون جزءًا أفضلها طلب الحلال».

وقال علي(ع) مجيبًا رجلا ذم الدنيا.

«... إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غني لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء اللّه، ومصلّى ملائكة اللّه، ومهبط وحي اللّه، ومتجر أولياء اللّه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة».

وعن الإمام الصادق(ع) في مواضع عديدة قوله: «نِعمَ العونُ على الآخرة الدنيا».

وقال: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه».

وعنه أيضا: «لا خير في مَنْ لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه».

وقال عليه السلام: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل اللّه».

وقال لهشام: «يا هشام إن رأيت الصفين قد التقيا فلا تدع طلب الرزق في ذلك اليوم».

وبلغ اهتمام الإسلام بالعمل أن رسول اللّه(ص) قبّل يد سعد الأنصاري من عمال المسلمين بعد عودته من تبوك تأكيدًا على أهمية العمل في نظر الإسلام.

وقد يُخيَل إلى الإنسان بادي الراي أن ثمة تناقضًا بين هاتين المجموعتين من الروايات، فيتصور أن الاولى تدعو إلى ترك الدنيا

والثانيـة إلى ممارسـة النشـاطات الاقتصـادية والاجتماعيـة فيهـا. لكننـا لـو نظرنـا إلى مجمـوع هـذه الروايـات في إطـار المفـاهيم الإسلامية العامة للكون والحياة لعلمنا أن هذه الروايات جميعًا تسير في خط واحد وتستهدف غاية واحدة، وهي تربية الإنسان المتحكم في الشؤون المادية للحياة لا المحكوم بها.. المسيّر لجوانب الحياة المادية لا المسيَّر بها... المسيطر على غرائزه ودوافعه المادية لا المسخر لها.

مثل هذا الإنسان يندفع بطاقة عظيمة لا تعرف الملل والكلل في خوض معركة الهدم والبناء.. هدم كل العقبات التي تقف بوجه تقدم الإنسان وتكامله وبناء كل ما هو صالح للإنسان، دون أن يكون للغرائز المادية والذاتيات والأنانيات دور في هذه المعركة، بل كل نشاطات هذا الإنسان تتجه نحو خدمة الصالح العام.

المجموعة الاولى من الأحاديث لا تبعد الإنسان عن الدنيا، بل تبعده عن الانشداد البهيمي إليها، تبعده عن تصور الدنيا معلفًا ومضجعًا، وتجعل الدنيا في عينيه ساحة كفاح للتكامل والسمو، تجعلها مزرعة للآخرة، ولا يمكن للمرزعة أن تؤتي أُكُلَها إلا بالعمل الدؤوب المستمر.

شخصيات المعصومين ـ عليهم السلام ـ وأصحابهم جسّدت هذه التربية الإسلامية، فهم السباقون في ميادين الجهاد والعلم والعمل كما أنهم في مقدمة المتحررين من كل انشداد دنيوي يجعل الدنيا أكبر همهم.

الإسلام نهى بشدّة عن ترك النعم التي سخرها اللّه لعباده. قال سبحانه. ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ﴾. (الاعراف/٣١).

وقال رسول اللّه(ص) «لا رهبانية في الإسلام».

وقال أيضا: «إن اللّه تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل اللّه».

وقد حثّ الإسلام على التفاعل مع المجتمع وممارسة النشاطات الاجتماعية البناءة التي تستهدف الصالح العام، ولذلك قال رسول اللّه(ص): «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

وعن الصادق(ع): أن رسول اللّه سُئل: «من أحب الناس إلى اللّه؟ قال: أنفع الناس للناس».

ويروى أن امير المؤمنين عليًا(ع) عاد علاء بن زياد في بيته بالبصرة فوجد في البيت سِعَة تفوق القَدَر المطلوب فقال له: «ما كنت تصنع بسِعَة هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة أحوج».

ثم تقول الرواية أن علاء قال لامير المؤمنين:

«يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا».

فاستدعاه الامام وقال له: «يا عديّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟! أترى اللّه أحل لك الطيبات

وهو يكره أن تأخذها؟».

فاستغرب عاصم أن يسمع هذا الكلام مِنْ علي فقال: «يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟!!».

أجابه الإمام قال: «ويحك إني ليست كأنت. إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضَعَفَة الناس كي لا يتبيّغ بالفقير فقره».

وهكذا نهى أمير المؤمنين عن الإفراط والتفريط في ممارسة الحياة، مؤكداً أن المتقين يعيشون الدنيا بمعيار الآخرة، أي بمعيار يسمو على الانشداد البهيمي إليها، يقول الإمام في وصف المتقين:

«اعملوا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، قال الله عزّ وجلّ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ سكنوا الدنيا بأحسن ما سكنت وأكلوها بأحسن ما أكلت».

لا طمأنينة الا في ظلال الإيمان

ذكرنا اختلاف وجهات نظر الفلاسفة والمفكرين حول مفهوم السعادة وسبل تحقيقها. وهذا الاختلاف قائم حتى يومنا هذا، فلا تزال المدارس الفكرية تقدم أطروحاتها لإسعاد البشر.

هذا المعسكر الرأسمالي قدم أطروحة إطلاق الحريات ظانًا أنه سيخلق للإنسان على وجه الأرض حياة سعيدة، فإذا به يخلق جحيمًا يكتوي بنارها الملايين من أبناء الكرة الأرضية.

وطلعت الماركسية تصب اللعنات على الرأسمالية وتلّوح للبشرية المعذبة بحياة جديدة وَصَفتها بأنها جنة المحرومين على ظهر الأرض، ثم ما لبثت حتى خلقت مجتمعًا أشبه بالسجن الكبير يحاول أبناؤه أن يغتنموا ادنتى فرصة للهروب منه وللحصول على جو يستنشقون فيه عبير الحرية.

وعلى مر التاريخ ظهرت على الساحة أطروحات لإسعاد الإنسان ولكن ما لبثت أن تراجعت وأثبتت فشلها، ذلك لأنها صدرت عن ذهن بشر ينظر إلى أبعاد معينة من حياة الإنسان وتخفى عليه ابعاد أخرى. ولهذا السبب كانت المجموعات البشرية السائرة على غير هدى الله تعيش دومًا في ضنك من العيش، وما أجمل التعبير القرآني في هذا المجال مخاطبا البشرية على مرّ العصور:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه/ ١٢٣ – ١٢٧).

والأحاديث تصور هذه الحقيقة بتعابير مختلفة، فتذكر أن نتيجة الذنوب خوف مستمر، وقلق دائم، وهمّ لا ينقطع، وحزن طويل:

عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام أنه قال: «إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان، وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها».

وعن أمير المؤمنين علي(ع) قال: «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب».

وقال: «... وكم من شهوة ساعة قد أورثت حزنًا طويلاً».

وقال أيضًا: «ومن لم يعدل نفسه عن الشهوات خاض في الحسرات وسبح فيها».

كما تذكر النصوص الإسلامية اقتران الطمأنينة بالإيمان وعدم انفصالها عن بعضهما.

قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد/ ٢٨).

وعبارة «تطمئن قلوبهم» هي على حد تعبير المفسرين عطف تفسيري على عبارة «الذين آمنوا» أي إنها تفيد الملازمة بين الإيمان واطمئنان القلوب.

ويقول سبحانه: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/٦٢).

وعن ابن عباس، أنه سئل الامام علي(ع) عن «أولياء الله» في الآية، فقال: «قوم اخلصوا لله في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا

حين نظر الناس إلى ظاهرها، فعرفوا آجلها حين غرّت الخلق سواهم بعاجلها، فتركوا ما علموا أنه سيتركهم، وأماتوا ما علموا أنه سيميتهم».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الاحقاف/ ١٢).

هذه الحقيقة أثبتها المؤمنون على خط الرسالة الإلهية في صمودهم بنفس هادئة مطمئنة متزنة أمام المصاعب والشدائد والمحن، والقرآن الكريم يصدق علينا مواقف الأنبياء العظام في صمودهم واستقامتهم. فهذا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، يواجه الطاغوت المنادي:

﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾. (الانبياء/٦٨).

يواجهه بصمود وثبات... ويواجه نيرانه بطمأنينة ووقار، وتذكر الرواية أن جبرائيل (ع) نزل على إبراهيم، وهو في تلك الساعات الشديدة من المحنة فقال له:

«يا إبراهيم ألكَ حاجة؟»

قال: «أما إليك فلا!!».

نعم إبراهيم المنقطع عن سوى الله لا يرى نفسه بحاجة إلى سواه سبحانه، وحسبه أنه يعلم أن ما نزل به إنما كان بعين الله.

وهكذا الصور التي يقدمها لنا القرآن الكريم عن بقية أنبياء الله تقرر هذا الاستقرار والوقار في نفوس المستسلمين لأمر الله سبحانه.

والتاريخ والسيرة يخبراننا عن عظمة الإيمان في نفوس المسلمين، وعن القُدرة التي منحها هذا الدين المبين لأتباعه فجعلهم كالجبال الرواسي أمام المصاعب والشدائد.

بعد كل هذا فإن تأنيب الضمير هو من عوامل اضطراب الإنسان المذنب الآثم. وهذا هو الذي سماه القرآن الكريم بـ «النفس اللوامة» حيث قال سبحانه: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. (القيامة/ ١٠٢).

وهذه النفس اللوامة موجودة في كل إنسان بدرجة وأخرى، وقد تخفى أحيانًا عند من يمارسون الإجرام وينغمسون فيه، لكن هذا التأنيب ما يلبث أن يظهر فيقضّ عليهم مضاجعهم ويسلبهم راحتهم.

ولهذه الظاهرة أمثلة كثيرة في تاريخنا وفي حياتنا المعاصرة، انعكست في الأدب والفكر والفن، وأُلفت حولها الروايات والمسرحيات الكثيرة.

ونختم حديثنا برواية عن الإمام علي بن الحسين السجاد(ع) عن الذنوب التي تؤدي إلى تأنيب الضمير وإثارة النفس اللوامة حيث يقول: «والذنوب التي تورث الندم: قتل النفس التي حرم الله. قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ﴾ وقال عزوجل في قصة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وترك صلة القرابة حتى يستغنوا، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها، وترك الوصية وردّ المظالم، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان».

دعوة إلى الأمة

السيد مصطفى جمال الدين

عُودي لأمسكِ ينطلق منكِ الغدُ   ما شعَّ في دمِكِ النبيُّ محمدُ
يا أمة يبِسَ الزمانُ، وعودُها   ريّانُ من نَبعِ النبوّةِ أملَدُ
تَسري بأعماقِ السنينِ جذورُهُ   وتشدُّ أذرعَهُ النجومُ فيصعَدُ
ما ارتاعَ من عسف المُحول ولاانثنى   بيد العواصفِ فرعُهُ المتأوِّدُ
ومذِ اشتكت تلك الجنائنُ حولهُ   ممّا يعيثُ بها الخريفُ الأجرَدُ
ألقى رواءَ الهدي بين غصونها   فأفاقَ حتى الهامِدُ المتقصِّدُ
وسرت بها بعدَ الذبولِ غضارةُ الـ   ـقرآنِ، تُخصبُ روحَها، وتُورّدُ
وتَطلّعتُ فإذا بسُنَّةِ أحمدٍ   سحُبٌ يفيضُ بها النعيمُ ويرفُدُ
وإذا النُبوّةُ في الوجوه نضارةٌ   والعقلِ نور.. والقلوبِ تودُّدُ
وإذا بصرعى الجاهليةِ في الوغى   حُمَمٌ.. وفي ليل المتيهَةِ فرقد
وإذا بمكّةَ وهي صمٌّ جنادلٍ   سودٍ، لمؤتلقِ الكواكبِ مقصدُ
عودي لأمسك تركبي طرق الهدى   فالأرض سهلٌ، والركائبُ حُشَّد
وأمام عينك حاضر متقدّمٌ   فيه من الرَشَدِ الوفيرُ الأجوَد
فتخيّري ما تشتهين، وجدّدي   هِمَما تكادُ من التغرّبِ تهمُدُ
وتعدّدي طرقًا فلا توهي السُرى   سَعَةُ (المذاهبِ) والمدى متوحّد

القراء الكرام

المجلة تستهدف :

١ - تقـديم مفـاهيم التقريـب وقضـاياه باختصـار، ومحاولـة تطـوير الأسـلوب لينسـجم مـع حجـم المقـال والذوق الأدبي.

٢ - التركيـز علـى الجوانـب العمليـة القائمـة في الساحة وفي الأذهان بشأن وحدة الأمة الإسلامية.

٣ - التوجّـه إلى الثقافـة العامّـة للتنـوير ولمعالجـة الإشكاليات على ساحة أوسع من المهتمين بقضايا الأمة.

٤ - ربط قضية التقريب بالمشروع الكبير للأمة وهو تفعيـل ثقافتهـا وتوجيـه حركتهـا نحـو اسـتعادة وجودهـا الحضاري.

نتقـدّم أولاً بالشـكر لكـلّ مـن سـاندنا ، ونطلـب مـن القـراء الكـرام أن يتفضـلوا علينـا بملاحظـاتهم ونقـدهم ومسـاهماتهم على العنوان:

dr.azarshab@gmail.com